الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: لسانيات عامة

عنوان المذكرة:

التشكيل الفونيمي ودلالته في النص القرآني –سورة الفرقان– نموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر

من اعداد الطالبتين:

- بن قارة محمد زكية
- بن قارة محمد نبيلة

اشراف الدكتور:

عبد المجيد قديدح

اسم ولقب العضو	رتبته	مؤسسته	صفته
		جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	رئيسا
عبد المجيد قديدح	أ. محاضر. أ	جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	مشرفا مقررا
		جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	ممتحنا

السنة الجامعية:

1444–1445هـ/2022–2023م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وعرفان :

نحمد الله عز وجل الذي ألهمنا الصبر والثبات وأمدنا بالقوة والعزم على مواصلة مشوارنا الدراسي وتوفيقه لنا في إنجاز هذا العمل ، فنحمدك اللهم ونشكرك على نعمتك وفضلك ونسألك البر والتقوى ومن العمل ما ترضى والسلام على حبيبه وخليله الأمين عليه أزكى الصلاة والسلام ، نتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل عبد المجيد قديدح لإشرافه على هذا البحث وسعة صدره وعلى حرصه أن يكون هذا العمل في صورة كاملة ، نسأل الله أن يجزيه عنا كل خير ، وأيضا نتقدم بجزيل الشكر الى اللجنة المناقشة التي درست موضوعنا هذا ، وخالص الامتنان إلى إدارة وأساتذة الكلية .

الاهداء :

إلى فيض الحب والحنان ووافر العطاء بلا انتظار ولا مقابل إلى من غمرتني بحبها إلى أمي التي مهما قلت فيها لن أوفيها حقها ، إلى من علمني الاجتهاد والمثابرة الى من كان شمعة تنير دربي إلى أبي الحبيب أطال الله في عمره ، إلى فرحة البيت وقرة العين الى اخوتي كل باسمه ومقامه، إلى زوجي الذي كان سندا لي والذي طالما حثني على المثابرة وساعدني ووفر لي الكتب والمصادر التي كانت منارة لي في هذا العمل أسأل الله أن يرزقه من واسع فضله وأن يمده بالصحة ، وأخيرا لا يسعني الا أن أتقدم بالشكر الى جميع الأصدقاء اللذين وقفوا إلى جانبي مشجعين ومؤيدين ومساعدين خاصة معلمتي رميساء ، وأسأل الله أن لا أكون قد نسيت من ذوي الفضل أحدا .

اذا نسيت فان العار نسياني فضل الأحبة من أهل وخلان

يا أم مصطفى قد اثرت احسانا وقد قسوت وذاك الأمر أضناني

فان عفوت وهذا ما صبوت له فالله يجزيك احسانا بإحسان

مقدمة

الحمد الله دائم الفضل والعطاء , والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء سيدنا محمد وعلى اله وصحبه البررة الشرفاء ومن سار على دربه واستن بسنته الى يوم اللقاء وبعد ، لقد جاءت اللغة العربية تحمل من الخصائص الصوتية ما جعل من متكلميها أفصح الناس وأطلقهم لسانا وأقدرهم على البيان ، وقد بعث الرسول الكريم بمعجزة خالدة وقد كانت مادتها اللغة العربية بأنظمتها الصوتية المعجزة ، فقد ذهل الكافرون وصمتوا وكانوا عاجزين عن الاتيان بسورة مثل القران حتى انهم قد اعترفوا وشهدوا بأن أصوات القران غير عادية ، قالوا عنها أنها سحر وما كان هذا الا لأن وقع القران بصوته وتراكيبه على اذانهم كان له الأثر الكبير فكم من شخص قد بكى من اية وضحك وفرح بأخرى ، وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي على حسب طبيعته ونوعه سواء كان مدا أو غنة أو لين أو شدة كل واحد حسب ما يقتضيه حال المقال ، وبهذا كان علم الأصوات اللغوية أوائل العلوم التي حظيت باهتمام العلماء العرب الأوائل ، الى أن وصل هذا العلم الى درجة متقدمة على باقي العلوم اللغوية ، وقد ارتحل العلماء الى البوادي حتى يتمكنوا من التقاط الأصوات من العرب الأقحاح وقد اهتموا بهذا العلم لارتباط مادته بالقران الكريم ، وقد أطلقوا على هذا العلم عدة أسماء منها الفونولوجيا وعلم الأصوات الوظيفي وعلم الفونيمات وهو عموما يدرس أصوات اللغة لجهة وظيفتها التمييزية في نظام التواصل اللغوي ويدرس وظيفة الأصوات اللغوية وصلتها بالمعنى من حيث علاقة الصوت بما قبله وبما بعده والملامح المميزة للصوت داخل التراكيب ، والوحدة التي يقوم عليها علم الفونيمات هي الفونيم (حرف , صوت) ويقال أن اكتشاف الفونيم قد عادل اكتشاف الطاقة النووية ، فكما أحدثت هذه الأخيرة ثورة في العلوم التقنية أحدث الفونيم ثورة في التفكير اللغوي وعلم الأصوات ، وانطلاقا مما سبق ذكره شرفنا باختيار هذا البحث الموسوم "**بالتشكيل الفونيمي ودلالته في النص القرآني سورة الفرقان نموذجا** "، لا شك أن كل من يقرأ كتاب الله قراءة متأنية متمعنة سينتابه شعور بالجمال واحساس فياض بالمتعة لا يجدها في كلام البشر ، ومن هذا نجد أنفسنا أمام تساؤل يعد اشكالية هذا البحث وهو : **كيف يكون التشكيل الصوتي في النص القرآني ؟ وما هي دلالته في القران وبالأخص في سورة الفرقان** ؟ ومن هذا الاشكال تتمحور مجموعة من التساؤلات أجملها فيما يلي : **ما أحكام النون الساكنة والتنوين ؟ كم عدد حروف الاخفاء الشفوي ولماذا سمي بالشفوي؟ ما أنواع المدود ؟وما أقسامه ؟ وما المد العارض للسكون؟ وما مقداره ؟ وما المد اللازم والى كم ينقسم ؟ ، أما عن أسباب اختيارنا للموضوع** فيمكن تحديدها انطلاقا من العبارات التالية:

ايماننا بأن موضوع هذا البحث من أجل ما يصرف فيه طالب العلم وقته وجهده ذلك لأنه مرتبط بكلام الله عز وجل ، ويقيننا بأن القران الكريم هو خير مجال للكشف عن جمال أصوات اللغة العربية اذ يعد القران أول مصادرها ، كما اخترناه لحبنا الشديد لهذا المجال وتعلقنا بكتاب الله وأن هذا الموضوع يساعد كثيرا في تدبر القران والتأمل في معانيه ,أما **عن أهمية الموضوع** فتكمن في أن القران الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه ، أعجز العرب فصحاء اللسان ، فكان من أعظم وجوه الاعجاز وأهمها التشكيل الصوتي في النص القرآني ودلالته ،كما يستنبط منه الفقيه الأحكام الشرعية ، ويبني منه النحوي قواعد التراكيب والصيغ ، ويهتدي به البياني الى سن أساليب الفصاحة والبيان ، فلا أحد ينكر أن في أسلوب القران جوانب جمالية ينبهر بها السامع والقارئ ومن بين هذه الجوانب الجانب الصوتي , ولا شك أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج المناسب الذي يعتمد قصد الاحاطة بأهم جوانبه ومن أجل ذلك اعتمدنا في دراستنا على **المنهج الوصفي** وهو منهج يعد مناسبا لمثل هذه الموضوعات , ولقد فرضت علينا معطيات البحث **الخطة الاتية** : مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة , فقد **افتتحنا بمقدمة** تناولنا فيها اشكالية البحث وأسباب ودوافع اختيارنا للموضوع وكذلك أهمية الموضوع وأهدافه ثم المنهج الذي اعتمدنا عليه في الدراسة كما ذكرنا بعض المصادر والمراجع وبعض الدراسات السابقة ، ثم انتقلنا الى **مدخل مفاهيمي** ، تطرقنا فيه الى مفهوم الصوت والفونيم و الاعجاز الصوتي وقمنا بتفسير سورة الفرقان ، وفي **الفصل الأول** تطرقنا الى أحكام النون والميم الساكنتين ، تناولنا في المبحث الأول تعريف أحكام النون الساكنة من اظهار وادغام و اقلاب واخفاء وفي نهاية المبحث بينا دلالة استخدام أحكام النون ، أما في المبحث الثاني تطرقنا الى أحكام الميم الساكنة من اظهار شفوي وادغام شفوي واخفاء شفوي وختمنا هذا المبحث بدلالة استخدام أحكام الميم الساكنة ، أما في **الفصل الثاني** فقد تطرقنا فيه الى أنواع المدود ، ففي المبحث الأول تناولنا المد الطبيعي ودلالته ، وفي المبحث الثاني تناولنا المد الفرعي ودلالته ،كما وضعنا لكل فصل تمهيدا وخاتمة ، وخصصنا **الفصل الثالث** لدراسة تطبيقية على سورة الفرقان ، وختمنا البحث باستنتاجات متعلقة بما تطرقنا اليه ولخصنا أهم ما توصلنا اليه ، أما عن **أهم المصادر والمراجع** التي كانت لها صلة وثيقة بالبحث وكان لها الفضل في اضافة الكثير من جوانب الموضوع نذكر منها : تفسير القران العظيم لأبي فداء اسماعيل بن عمر بن كثير ، أنوار المطالع في أصول رواية ورش عن نافع لعبد الحفيظ بن طاهر هلال وعبد الكريم أحمد حمادوش ، الميزان في أحكام تجويد القران فريا زكريا العبد ، نهاية القول المفيد في علم التجويد محمد مكي نصر الجريسي ، أما عن **الدراسات السابقة** فقد احتلت الدراسات الصوتية حيزا واسعا من المكتبة العربية ،كما أنها حظيت باهتمام كبير عند العلماء الغربيين ولكن هذه الدراسات اقتصرت على النظام الصوتي من حيث دراسة الأصوات ومخارجها وصفاتها هذا من جانب ومن جانب اخر هناك بعض الدراسات التي تطرقت الى دراسة التشكيل الصوتي كمذكرة لنيل شهادة الماجستير " سورة الكهف دراسة دلالية " و"التشكيل الصوتي في سورة الأعلى " ، ولم يقم أحد بدراسة التشكيل الفونيمي في سورة الفرقان لذلك جاءت هذه الدراسة التي قمنا بها ، وفي الأخير نشكر أستاذنا الذي سهر و أشرف على مذكرتنا .

أولا/ مفهوم الصوت :

1_" عبد الكريم مقيدش": هو صدى مسموع ناتج عن تصادم جسمين أو أكثر ، أو احتكاك جسمين أو اكثر ، أو انفصال جسمين وبحسب قوة هذه العملية أو ضعفها تكون ضخامة الصوت وضعفه .

_ و يعرف الصوت ايضا بأنه النفس المسموع الخارج بالإرادة .

_ النفس : هو الهواء الخارج من داخل الرئة بدفع الطبع .[1]

_ الصوت هو الجرس والجمع أصوات ، قال ابن السكيت : الصوت صوت الانسان وغيره ، والصائت الصائح ورجل صيت أي شديد الصوت ورجل صائت أي حسن الصوت شديده وكل ضرب من الاغنيات صوت من الاصوات .

_ وتعريف الصوت مرتبط بأبعاده وموارده ، ومتعين بتقييده بمواد , وقد أعطى الراغب (ت 502) خلاصة دقيقة لهذه المصادر ، بعد اعتباره الصوت الهواء المنضغط على قرع جسمين وهما ضربان :

* صوت مجرد عن النفس بشيء كالصوت الممتد

* وتنفس بصوت ما والمنفس نوعان :

أ _ غير اختياري : كما يكون من الجمادات والحيوانات .

ب _ نوع اختياري : كما يكون من الانسان وهو ضربان :

_ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه

_ وضرب بالفم في النطق وغير النطق

فالمنطوق منه اما مفرد من الكلام واما مركب كأحد الانواع من الكلام وغير المنطوق كصوت الناي .[2]

2_ " ابن جني " : أعلم ان الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا ، حتى يعرض له فالحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته ، فسمي المقطع أينما عرض له حرفا .[3]

ثانيا/ مفهوم الفونيم :

1- ترى المدرسة الفزيائية أن الفونيم عبارة عائلة أو أسرة من الاصوات تحقق الشرطين التاليين :

_ أن هناك تشابها صوتيا يقوم بين أفراد **العائلة** الصوتية الواحدة .

[1] -عبد الكريم مقيدش , مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق , دار المعارف , الجزائر , ط 6 , 1435ه -2014م , ص51.

[2]- محمد حسين علي الصغير , الصوت اللغوي في القران, دار المؤرخ العربي ,بيروت , لبنان , ط 1 , 1420ه -2000م , ص 13-14.

[3].- أبي الفتح عثمان ابن جني , سر صناعة الاعراب , تح : حسن الهنداوي , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ط 1 , ص 6-10.

_ أن أيا من أفراد هذه العائلة لا يمكن أن يرد في السياق الصوتي الذي يرد فيه الاخر.

2_ يعرف "**دانيال جونز**" الفونيم : بأنه عائلة أو أسرة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع , في كلمة من الكلمات في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه أي عضو اخر من العائلة نفسها .

3_يعرفه "**جليسون**" بأنه فئة من الأصوات متماثلة صوتيا وتظهر أنماط توزيع خاصة بها في اللغة , أو اللهجة المدروسة .[1]

ثالثا/ الإعجاز الصوتي عند الرماني :

قال بأن وجوه اعجاز القران تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة , والتحدي للكافة , والصرفة , والبلاغة , والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ونقص العادة , وقياسه بكل معجزة , أما البلاغة فهي على ثلاث طبقات منها ما هو في أعلى طبقة ومنها ما هو في أدنى طبقة ومنها ما هو في الوسط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة فما كان في أعلى طبقة فهو معجز وهو بلاغة القران وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس , وليست البلاغة افهام المعنى لأنه قد يفهم متكلمان أحدهما بليغ والاخر غير بليغ ,فالبلاغة ايصال المعنى الى القلب ,وقد قال بأن البلاغة على عشرة أقسام : الايجاز , التشبيه , الاستعارة , التلاؤم ,الفواصل , التجانس , التصريف , التخمين , المبالغة , حسن البيان .[2]

رابعا/ تفسير سورة الفرقان عند" ابن كثير" :

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نذيرا ."1"

يَقُول تَعَالَى حَامِدًا لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَة عَلَى مَا نَزَّلَهُ عَلَى رَسُوله الْكَرِيم مِنْ الْقُرْآن الْعَظِيم كَمَا قَالَ تَعَالَى " الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْده الْكِتَاب وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِر بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْه وَيُبَشِّر الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَات " وَقَالَ هَهُنَا " تَبَارَكَ " وَهُوَ تَفَاعُل مِنْ الْبَرَكَة الْمُسْتَقِرَّة الثَّابِتَة الدَّائِمَة ،" الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَان " نَزَّلَ فِعْل مِنْ التَّكَرُّر وَالتَّكَثُّر كَقَوْلِهِ " وَالْكِتَاب الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُوله وَالْكِتَاب الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْل " لِأَنَّ الْكُتُب الْمُتَقَدِّمَة كَانَتْ تَنْزِل جُمْلَة وَاحِدَة وَالْقُرْآن نَزَلَ مُنَجَّمًا مُفَرَّقًا مُفَصَّلًا آيَات بَعْد آيَات وَأَحْكَامًا بَعْد أَحْكَام وَسُوَرًا بَعْد سُوَر وَهَذَا أَشَدّ وَأَبْلَغ وَأَشَدّ اِعْتِنَاء بِمَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ فِي أَثْنَاء هَذِهِ السُّورَة ،" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآن جُمْلَة وَاحِدَة كَذَلِكَ لِنُثَبِّت بِهِ فُؤَادك وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَك بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاك بِالْحَقِّ وَأَحْسَن تَفْسِيرًا " وَلِهَذَا سَمَّاهُ هَهُنَا الْفُرْقَان لِأَنَّهُ يَفْرُق بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل وَالْهُدَى وَالضَّلَال وَالْغَيّ وَالرَّشَاد وَالْحَلَال وَالْحَرَام ، وَقَوْله " عَلَى عَبْده " هَذِهِ صِفَة مَدْح وَثَنَاء لِأَنَّهُ أَضَافَهُ إِلَى عُبُودِيَّته كَمَا وَصَفَهُ بِهَا فِي أَشْرَف أَحْوَاله وَهِيَ لَيْلَة الْإِسْرَاء فَقَالَ "

[1] - محمد جواد النوري , علم الأصوات العربية , جامعة القدس , عمان , الأردن , ط 1 , 1996م , ص115.
[2].أبي الحسن علي بن عيسى الرماني , اعجاز القران , تص : عبد العليم , مكتبة الجامعة الملية الاسلامية , 1934م , ص13.

سُبْحَان الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا " وَكَمَا وَصَفَهُ بِذَلِكَ فِي مَقَام الدَّعْوَة إِلَيْهِ " وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْد اللَّه يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا " وَكَذَلِكَ وَصَفَهُ عِنْد إِنْزَال الْكِتَاب عَلَيْهِ وَنُزُول الْمَلَك إِلَيْهِ " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَان عَلَى عَبْده لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا " وَقَوْله " لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا " أَيْ إِنَّمَا خَصَّهُ بِهَذَا الْكِتَاب الْمُفَصَّل الْعَظِيم الْمُبِين الْمُحْكَم الَّذِي " لَا يَأْتِيه الْبَاطِل مِنْ بَيْن يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفه تَنْزِيل مِنْ حَكِيم حَمِيد " الَّذِي جَعَلَهُ فُرْقَانًا عَظِيمًا لِيَخُصّهُ بِالرِّسَالَةِ إِلَى مَنْ يَسْتَظِلّ بِالْخَضْرَاءِ وَيَسْتَقِلّ عَلَى الْغَبْرَاء كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " بُعِثْت إِلَى الْأَحْمَر وَالْأَسْوَد " وَقَالَ " إِنِّي أُعْطِيت خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَد مِنْ الْأَنْبِيَاء قَبْلِي " فَذَكَرَ مِنْهُنَّ " أَنَّهُ كَانَ النَّبِيّ يُبْعَث إِلَى قَوْمه خَاصَّة وَبُعِثْت إِلَى النَّاس عَامَّة "كَمَا قَالَ تَعَالَى " قُلْ يَا أَيّهَا النَّاس إِنِّي رَسُول اللَّه إِلَيْكُمْ جَمِيعًا " الْآيَة أَيْ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَالِك السَّمَوَات وَالْأَرْض الَّذِي يَقُول لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُون وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيت.

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا "2"

وَهَكَذَا قَالَ هَهُنَا " الَّذِي لَهُ مُلْك السَّمَوَات وَالْأَرْض وَلَمْ يَتَّخِذ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيك فِي الْمُلْك " وَنَزَّهَ نَفْسه عَنْ الْوَلَد وَعَنْ الشَّرِيك ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ " خَلَقَ كُلّ شَيْء فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا " أَيْ كُلّ شَيْء مِمَّا سِوَاهُ مَخْلُوق مَرْبُوب وَهُوَ خَالِق كُلّ شَيْء وَرَبّه وَمَلِيكه وَإِلَهه وَكُلّ شَيْء تَحْت قَهْره وَتَدْبِيره وَتَسْخِيره وَتَقْدِيره.[1]

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا"3"

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ جَهْل الْمُشْرِكِينَ فِي اِتِّخَاذهمْ آلِهَة مِنْ دُون اللَّه الْخَالِق لِكُلِّ شَيْء الْمَالِك لِأَزِمَّةِ الْأُمُور الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَمَعَ هَذَا عَبَدُوا مَعَهُ مِنْ الْأَصْنَام مَا لَمْ يَقْدِر عَلَى خَلْق جَنَاح بَعُوضَة بَلْ هُمْ مَخْلُوقُونَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فَكَيْف يَمْلِكُونَ لِعَابِدِيهِمْ ؟ " وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاة وَلَا نُشُورًا " أَيْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْء بَلْ ذَلِكَ كُلّه مَرْجِعه إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيت وَهُوَ الَّذِي يُعِيد الْخَلَائِق يَوْم الْقِيَامَة أَوَّلهمْ وَآخِرهمْ " مَا خَلْقكُمْ وَلَا بَعْثكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَة "كَقَوْلِهِ " وَمَا أَمْرنَا إِلَّا وَاحِدَة كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ " وَقَوْله " فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَة وَاحِدَة فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ " " فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَة وَاحِدَة فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ – إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَة وَاحِدَة فَإِذَا هُمْ جَمِيع لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ " فَهُوَ اللَّه الَّذِي لَا إِلَه غَيْره وَلَا رَبّ سِوَاهُ وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَة إِلَّا لَهُ لِأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَهُوَ الَّذِي لَا وَلَد لَهُ وَلَا وَالِد وَلَا عَدِيل وَلَا بَدِيل وَلَا وَزِير وَلَا نَظِير بَلْ هُوَ الْأَحَد الصَّمَد الَّذِي لَمْ يَلِد وَلَمْ يُولَد وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا"4"

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، دار المعرفة، ص1349

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ سَخَافَة عُقُول الْجَهَلَة مِنْ الْكُفَّار فِي قَوْلهمْ عَنْ الْقُرْآن " إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْك " أَيْ كَذِب " اِفْتَرَاهُ " يَعْنُونَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْم آخَرُونَ " أَيْ وَاسْتَعَانَ عَلَى جَمْعه بِقَوْمٍ آخَرِينَ فَقَالَ اللَّه تَعَالَى " فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا " أَيْ فَقَدْ اِفْتَرَوْا هُمْ قَوْلًا بَاطِلًا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَاطِل وَيَعْرِفُونَ كَذِب أَنْفُسهمْ فِيمَا زَعَمُوهُ.

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"5"

"وَقَالُوا أَسَاطِير الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا " يَعْنُونَ كُتُب الْأَوَائِل أَيْ اِسْتَنْسَخَهَا " فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ " أَيْ تُقْرَأ عَلَيْهِ " بُكْرَة وَأَصِيلًا " أَيْ فِي أَوَّل النَّهَار وَآخِره وَهَذَا الْكَلَام لِسَخَافَتِهِ وَكَذِبه وَبُهْته مِنْهُمْ يَعْلَم كُلّ أَحَد بُطْلَانه فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِالتَّوَاتُرِ وَبِالضَّرُورَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُعَانِي شَيْئًا مِنْ الْكِتَابَة لَا فِي أَوَّل عُمْره وَلَا فِي آخِره وَقَدْ نَشَأَ بَيْن أَظْهُرهمْ مِنْ أَوَّل مَوْلِده إِلَى أَنْ بَعَثَهُ اللَّه نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَة وَهُمْ يَعْرِفُونَ مَدْخَله وَمَخْرَجه وَصِدْقه وَنَزَاهَته وَبِرّه وَأَمَانَته وَبُعْده عَنْ الْكَذِب وَالْفُجُور وَسَائِر الْأَخْلَاق الرَّذِيلَة حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي صِغَره وَإِلَى أَنْ بُعِثَ الْأَمِين ; لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ صِدْقه وَبِرّه فَلَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّه بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ نَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَة وَرَمَوْهُ بِهَذِهِ الْأَقْوَال الَّتِي يَعْلَم كُلّ عَاقِل بَرَاءَته مِنْهَا وَحَارُوا فِيمَا يَقْذِفُونَهُ بِهِ فَتَارَة مِنْ إِفْكهمْ يَقُولُونَ سَاحِر وَتَارَة يَقُولُونَ شَاعِر وَتَارَة يَقُولُونَ مَجْنُون وَتَارَة يَقُولُونَ كَذَّاب وَقَالَ اللَّه تَعَالَى " اُنْظُرْ كَيْف ضَرَبُوا لَك الْأَمْثَال فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا"

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا "6"

وَقَالَ تَعَالَى فِي جَوَاب مَا عَانَدُوا هَهُنَا وَافْتَرَوْا " قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَم السِّرّ فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض " الْآيَة أَيْ أَنْزَلَ الْقُرْآن الْمُشْتَمِل عَلَى أَخْبَار الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِخْبَارًا حَقًّا صِدْقًا مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ فِي الْخَارِج مَاضِيًا وَمُسْتَقْبَلًا " الَّذِي يَعْلَم السِّرّ " أَيْ اللَّه الَّذِي يَعْلَم غَيْب السَّمَوَات وَالْأَرْض وَيَعْلَم السَّرَائِر كَعِلْمِهِ بِالظَّوَاهِرِ وَقَوْله تَعَالَى" إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا " دُعَاء لَهُمْ إِلَى التَّوْبَة وَالْإِنَابَة وَإِخْبَار لَهُمْ بِأَنَّ رَحْمَته وَاسِعَة وَأَنَّ حِلْمه عَظِيم مَعَ أَنَّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ فَهَؤُلَاءِ مَعَ كَذِبهمْ وَافْتِرَائِهِمْ وَفُجُورهمْ وَبُهْتَانهمْ وَكُفْرهمْ وَعِنَادهمْ وَقَوْلهمْ عَنْ الرَّسُول وَالْقُرْآن مَا قَالُوا يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَة وَالْإِقْلَاع عَمَّا هُمْ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَام وَالْهُدَى كَمَا قَالَ تَعَالَى " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّه ثَالِث ثَلَاثَة وَمَا مِنْ إِلَه إِلَّا إِلَه وَاحِد وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاب أَلِيم أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّه وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاَللَّه غَفُور رَحِيم " وَقَالَ تَعَالَى " إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَاب جَهَنَّم وَلَهُمْ عَذَاب الْحَرِيق " قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ : اُنْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَم وَالْجُود قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَة وَالرَّحْمَة. [1]

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا "7"

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم ، ص1350

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ تَعَنُّت الْكُفَّار وَعِنَادهمْ وَتَكْذِيبهمْ لِلْحَقِّ بِلَا حُجَّة وَلَا دَلِيل مِنْهُمْ وَإِنَّمَا تَعَلَّلُوا بِقَوْلِهِمْ " مَا لِهَذَا الرَّسُول يَأْكُل الطَّعَام " يَعْنُونَ كَمَا نَأْكُلهُ وَيَحْتَاج إِلَيْهِ كَمَا نَحْتَاج " وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاق " أَيْ يَتَرَدَّد فِيهَا وَإِلَيْهَا طَلَبًا لِلتَّكَسُّبِ وَالتِّجَارَة " لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَك فَيَكُون مَعَهُ نَذِيرًا" يَقُولُونَ هَلَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَك مِنْ عِنْد اللَّه فَيَكُون شَاهِدًا عَلَى صِدْق مَا يَدَّعِيه.

أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا"8"

وَهَذَا كَمَا قَالَ فِرْعَوْن " فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَة مِنْ ذَهَب أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَة مُقْتَرِنِينَ " وَكَذَلِكَ قَالَ هَؤُلَاءِ عَلَى السَّوَاء تَشَابَهَتْ قُلُوبهمْ وَلِهَذَا قَالُوا" أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْز " أَيْ عِلْم كَنْز يُنْفِق مِنْهُ " أَوْ تَكُون لَهُ جَنَّة يَأْكُل مِنْهَا " أَيْ تَسِير مَعَهُ حَيْثُ سَارَ وَهَذَا كُلّه سَهْل يَسِير عَلَى اللَّه وَلَكِنْ لَهُ الْحِكْمَة فِي تَرْك ذَلِكَ وَلَهُ الْحُجَّة الْبَالِغَة " وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا. "

انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا"9"

قَالَ اللَّه تَعَالَى " أُنْظُرْ كَيْف ضَرَبُوا لَك الْأَمْثَال فَضَلُّوا " أَيْ جَاءُوا بِمَا يَقْذِفُونَك بِهِ وَيَكْذِبُونَ بِهِ عَلَيْك مِنْ قَوْلهمْ سَاحِر مَسْحُور مَجْنُون كَذَّاب شَاعِر وَكُلّهَا أَقْوَال بَاطِلَة كُلّ أَحَد مِمَّنْ لَهُ أَدْنَى فَهْم وَعَقْل يَعْرِف كَذِبهمْ وَافْتِرَاءَهُمْ فِي ذَلِكَ وَلِهَذَا قَالَ " فَضَلُّوا " عَنْ طَرِيق الْهُدَى " فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا " وَذَلِكَ أَنَّ كُلّ مَنْ خَرَجَ عَنْ الْحَقّ وَطَرِيق الْهُدَى فَإِنَّهُ ضَالّ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ لِأَنَّ الْحَقّ وَاحِد وَمَنْهَجه مُتَّحِد يُصَدِّق بَعْضه بَعْضًا.

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا"10"

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا نَبِيّه أَنَّهُ إِنْ شَاءَ لَأَتَاهُ خَيْرًا مِمَّا يَقُولُونَ فِي الدُّنْيَا وَأَفْضَل وَأَحْسَن فَقَالَ " تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَك خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ " الْآيَة . قَالَ مُجَاهِد يَعْنِي فِي الدُّنْيَا قَالَ وَقُرَيْش يُسَمُّونَ كُلّ بَيْت مِنْ حِجَارَة قَصْرًا كَبِيرًا كَانَ أَوْ صَغِيرًا قَالَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ حَبِيب بْن أَبِي ثَابِت عَنْ خَيْثَمَة قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ شِئْت أَنْ نُعْطِيك خَزَائِن الْأَرْض وَمَفَاتِيحهَا مَا لَمْ نُعْطِهِ نَبِيًّا قَبْلك وَلَا نُعْطِي أَحَدًا مِنْ بَعْدك وَلَا يَنْقُص ذَلِكَ مِمَّا لَك عِنْد اللَّه فَقَالَ" اِجْمَعُوهَا لِي فِي الْآخِرَة " فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ " تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَك خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ "[1].

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا"11"

وَقَوْله " بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ " أَيْ إِنَّمَا يَقُول هَؤُلَاءِ هَكَذَا تَكْذِيبًا وَعِنَادًا لَا أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ ذَلِكَ تَبَصُّرًا وَاسْتِرْشَادًا بَلْ تَكْذِيبهمْ بِيَوْمِ الْقِيَامَة يَحْمِلهُمْ عَلَى قَوْل مَا يَقُولُونَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَال " وَأَعْتَدْنَا " أَيْ أَرْصَدْنَا " لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا" أَيْ عَذَابًا أَلِيمًا حَارًّا لَا يُطَاق فِي نَار جَهَنَّم قَالَ الثَّوْرِيّ عَنْ سَلَمَة بْن كُهَيْل عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر " السَّعِير" وَادٍ مِنْ قَيْح جَهَنَّم.

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1350.

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا"12"

وَقَوْله " إِذَا رَأَتْهُمْ " أَيْ جَهَنَّم " مِنْ مَكَان بَعِيد" يَعْنِي فِي مَقَام الْمَحْشَر قَالَ السُّدِّيّ مِنْ مَسِيرَة مِائَة عَام " سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا " أَيْ حَنَقًا عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى " إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُور تَكَاد تَمَيَّز مِنْ الْغَيْظ " أَيْ يَكَاد يَنْفَصِل بَعْضهَا مِنْ بَعْض مِنْ شِدَّة غَيْظهَا عَلَى مَنْ كَفَرَ بِاَللَّهِ وَرَوَى اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا إِدْرِيس بْن حَاتِم بْن الْأَخْنَف الْوَاسِطِيّ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّد بْن الْحَسَن الْوَاسِطِيّ عَنْ أَصْبَغ بْن زَيْد عَنْ خَالِد بْن كَثِير عَنْ خَالِد بْن دُرَيْك بِإِسْنَادِهِ عَنْ رَجُل مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ أَوْ اِدَّعَى إِلَى غَيْر وَالِدَيْهِ أَوْ اِنْتَمَى إِلَى غَيْر مَوَالِيه فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَده مِنْ النَّار – وَفِي رِوَايَة – فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْن عَيْنَيْ جَهَنَّم مَقْعَدًا " قِيلَ يَا رَسُول اللَّه وَهَلْ لَهَا مِنْ عَيْنَيْنِ ؟.

قَالَ أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّه يَقُول " إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَان بَعِيد " الْآيَة وَرَوَاهُ اِبْن جَرِير عَنْ مُحَمَّد بْن خِدَاش عَنْ مُحَمَّد بْن يَزِيد الْوَاسِطِيّ بِهِ وَقَالَ أَيْضًا حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مُحَمَّد الطَّنَافِسِيّ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْن عَيَّاش عَنْ عِيسَى بْن سُلَيْم عَنْ أَبِي وَائِل قَالَ خَرَجْنَا مَعَ عَبْد اللَّه يَعْنِي اِبْن مَسْعُود وَمَعَنَا الرَّبِيع بْن خَيْثَم فَمَرُّوا عَلَى حَدَّاد فَقَامَ عَبْد اللَّه يَنْظُر إِلَى حَدِيدَة فِي النَّار وَنَظَرَ الرَّبِيع بْن خَيْثَم إِلَيْهَا فَتَمَايَلَ الرَّبِيع لِيَسْقُط فَمَرَّ عَبْد اللَّه عَلَى أَتُون عَلَى شَاطِئ الْفُرَات فَلَمَّا رَآهُ عَبْد اللَّه وَالنَّار تَلْتَهِب فِي جَوْفه قَرَأَ هَذِهِ الْآيَة " إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَان بَعِيد سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا " فَصَعِقَ يَعْنِي الرَّبِيع وَحَمَلُوهُ إِلَى أَهْل بَيْته فَرَابَطَهُ عَبْد اللَّه إِلَى الظُّهْر فَلَمْ يُفِقْ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَحَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن رَجَاء حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي يَحْيَى عَنْ مُجَاهِد عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ : إِنَّ الْعَبْد لَيُجَرّ إِلَى النَّار فَتَشْهَق إِلَيْهِ شَهْقَة الْبَغْلَة إِلَى الشَّعِير ثُمَّ تَزْفِر زَفْرَة لَا يَبْقَى أَحَد إِلَّا خَافَ هَكَذَا رَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم بِإِسْنَادِهِ مُخْتَصَرًا وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَام أَبُو جَعْفَر بْن جَرِير حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إِبْرَاهِيم الدَّوْرَقِيّ حَدَّثَنَا عُبَيْد اللَّه بْن مُوسَى أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي يَحْيَى عَنْ مُجَاهِد بِإِسْنَادِهِ إِلَى اِبْن عَبَّاس قَالَ : إِنَّ الرَّجُل لَيُجَرّ إِلَى النَّار فَتَنْزَوِي وَتَنْقَبِض بَعْضهَا إِلَى بَعْض فَيَقُول لَهَا الرَّحْمَن مَا لَك ؟ قَالَتْ إِنَّهُ يَسْتَجِير مِنِّي فَيَقُول أَرْسِلُوا عَبْدِي وَإِنَّ الرَّجُل لَيُجَرّ إِلَى النَّار فَيَقُول يَا رَبّ مَا كَانَ هَذَا الظَّنّ بِك فَيَقُول فَمَا كَانَ ظَنّك ؟ فَيَقُول أَنْ تَسَعنِي رَحْمَتك فَيَقُول أَرْسِلُوا عَبْدِي وَإِنَّ الرَّجُل لَيُجَرّ إِلَى النَّار فَتَشْهَق إِلَيْهِ النَّار شَهْقَة الْبَغْلَة إِلَى الشَّعِير وَتَزْفِر زَفْرَة لَا يَبْقَى أَحَد إِلَّا خَافَ وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح وَقَالَ عَبْد الرَّزَّاق أَخْبَرَ مَعْمَر عَنْ مَنْصُور عَنْ مُجَاهِد عَنْ عُبَيْد بْن عُمَيْر فِي قَوْله " سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا " قَالَ إِنَّ جَهَنَّم لَتَزْفِر زَفْرَة وَيَقُول : رَبّ لَا أَسْأَلك الْيَوْم إِلَّا نَفْسِي. [1]

وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا"13"

وَقَوْله " وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ " قَالَ قَتَادَة عَنْ أَبِي أَيُّوب عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو قَالَ : مِثْل الزَّجّ فِي الرُّمْح أَيْ مِنْ ضِيقه. وَقَالَ عَبْد اللَّه بْن وَهْب أَخْبَرَنِي نَافِع بْن يَزِيد عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي أُسَيْد يَرْفَع الْحَدِيث إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْل اللَّه " وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ " قَالَ " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1351

إِنَّهُمْ لَيُسْتَكْرَهُونَ فِي النَّار كَمَا يُسْتَكْرَه الْوَتَد فِي الْحَائِط " وَقَوْله " مُقَرَّنِينَ " قَالَ أَبُو صَالِح يَعْنِي مُكَتَّفِينَ " دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا " أَيْ بِالْوَيْلِ وَالْحَسْرَة وَالْخَيْبَة.

لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا"14"

"لَا تَدْعُوا الْيَوْم ثُبُورًا وَاحِدًا " الْآيَة رَوَى الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا عَفَّان حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ عَلِيّ بْن يَزِيد عَنْ أَنَس بْن مَالِك أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " أَوَّل مَنْ يُكْسَى حُلَّة مِنْ النَّار إِبْلِيس فَيَضَعهَا عَلَى حَاجِبَيْهِ وَيَسْحَبهَا مِنْ خَلْفه وَذُرِّيَّته مِنْ بَعْده وَهُوَ يُنَادِي يَا ثُبُوَراه وَيُنَادُونَ يَا ثُبُورهمْ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى النَّار فَيَقُول يَا ثُبُوَراه وَيَقُولُونَ يَا ثُبُورهمْ فَيُقَال لَهُمْ " لَا تَدْعُوا الْيَوْم ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا " لَمْ يُخَرِّجهُ أَحَد مِنْ أَصْحَاب الْكُتُب السِّتَّة وَرَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَحْمَد بْن سِنَان عَنْ عَفَّان بِهِ وَرَوَاهُ اِبْن جَرِير مِنْ حَدِيث حَمَّاد بْن سَلَمَة بِهِ وَقَالَ الْعَوْفِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس فِي قَوْله " لَا تَدْعُوا الْيَوْم ثُبُورًا وَاحِدًا " الْآيَة أَيْ لَا تَدْعُوا الْيَوْم وَيْلًا وَاحِدًا وَادْعُوا وَيْلًا كَثِيرًا وَقَالَ الضَّحَّاك الثُّبُور الْهَلَاك وَالْأَظْهَر أَنَّ الثُّبُور يَجْمَع الْهَلَاك وَالْوَيْل وَالْخَسَار وَالدَّمَار كَمَا قَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْن " وَإِنِّي لَأَظُنّك يَا فِرْعَوْن مَثْبُورًا " أَيْ هَالِكًا قَالَ عُبَيْد اللَّه بْن الزِّبَعْرَى : إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَان فِي سُنَن الْغَيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْله مَثْبُور.[1]

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا"15"

يَقُول تَعَالَى : يَا مُحَمَّد هَذَا الَّذِي وَصَفْنَاهُ لَك مِنْ حَال الْأَشْقِيَاء الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوههمْ إِلَى جَهَنَّم فَتَلْفَاهُمْ بِوَجْهٍ عَبُوس وَتَغَيُّظ وَزَفِير وَيُلْقَوْنَ فِي أَمَاكِنهَا الضِّيق مُقَرَّنِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِرَاكًا وَلَا اِسْتِنْصَارًا وَلَا فِكَاكًا مِمَّا هُمْ فِيهِ أَهَذَا خَيْر أَمْ جَنَّة الْخُلْد الَّتِي وَعَدَهَا اللَّه الْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَاده الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمْ وَجَعَلَهَا لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيرًا عَلَى مَا أَطَاعُوهُ فِي الدُّنْيَا وَجَعَلَ مَآلهمْ إِلَيْهَا.

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا"16"

"لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ " مِنْ الْمَلَاذّ مِنْ مَآكِل وَمَشَارِب وَمَلَابِس وَمَسَاكِن وَمَرَاكِب وَمَنَاظِر وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْن رَأَتْ وَلَا أُذُن سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْب أَحَد وَهُمْ فِي ذَلِكَ خَالِدُونَ أَبَدًا دَائِمًا سَرْمَدًا بِلَا اِنْقِطَاع وَلَا زَوَال وَلَا اِنْقِضَاء وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا وَهَذَا مِنْ وَعْد اللَّه الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَأَحْسَنَ بِهِ إِلَيْهِمْ وَلِهَذَا قَالَ "كَانَ عَلَى رَبّك وَعْدًا مَسْئُولًا " أَيْ لَا بُدّ أَنْ يَقَع وَأَنْ يَكُون كَمَا حَكَاهُ أَبُو جَعْفَر بْن جَرِير عَنْ بَعْض عُلَمَاء الْعَرَبِيَّة أَنَّ مَعْنَى قَوْله " وَعْدًا مَسْئُولًا " أَيْ وَعْدًا وَاجِبًا وَقَالَ اِبْن جُرَيْج عَنْ عَطَاء عَنْ اِبْن عَبَّاس "كَانَ عَلَى رَبّك وَعْدًا مَسْئُولًا " يَقُول فَسَأَلُوا الَّذِي وَعَدَهُمْ وَتَنَجَّزُوهُ وَقَالَ مُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ فِي قَوْله "كَانَ عَلَى رَبّك وَعْدًا مَسْئُولًا " إِنَّ الْمَلَائِكَة تَسْأَل لَهُمْ ذَلِكَ " رَبّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّات عَدْن الَّتِي وَعَدْتهمْ " وَقَالَ أَبُو حَازِم إِذَا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة قَالَ الْمُؤْمِنُونَ رَبّنَا عَمِلْنَا لَك بِالَّذِي أَمَرْتنَا فَأَنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتنَا فَذَلِكَ قَوْله " وَعْدًا مَسْئُولًا " وَهَذَا الْمَقَام فِي هَذِهِ

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1351

السُّورَة مِنْ ذِكْر النَّار ثُمَّ التَّنْبِيه عَلَى حَال أَهْل الْجَنَّة كَمَا ذَكَرَ تَعَالَى فِي سُورَة الصَّافَّات حَال أَهْل الْجَنَّة وَمَا فِيهَا مِنْ النَّضْرَة وَالْحُبُور ثُمَّ قَالَ " أَذَلِكَ خَيْر نُزُلًا أَمْ شَجَرَة الزَّقُّوم إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَة لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَة تَخْرُج فِي أَصْل الْجَحِيم طَلْعهَا كَأَنَّهُ رُءُوس الشَّيَاطِين فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُون ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيم ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعهمْ لَإِلَى الْجَحِيم إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارهمْ يُهْرَعُونَ. "

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ"17"

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يَقَع يَوْم الْقِيَامَة مِنْ تَقْرِيع الْكُفَّار فِي عِبَادَتهمْ مَنْ عَبَدُوا مِنْ دُون اللَّه مِنْ الْمَلَائِكَة وَغَيْرهمْ فَقَالَ " وَيَوْم يَحْشُرهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُون اللَّه " قَالَ مُجَاهِد هُوَ عِيسَى وَالْعُزَيْر وَالْمَلَائِكَة " فَيَقُول أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ " الْآيَة أَيْ فَيَقُول تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمَعْبُودِينَ أَأَنْتُمْ دَعَوْتُمْ هَؤُلَاءِ إِلَى عِبَادَتكُمْ مِنْ دُونِي أَمْ هُمْ عَبَدُوكُمْ مِنْ تِلْقَاء أَنْفُسهمْ مِنْ غَيْر دَعْوَة مِنْكُمْ لَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى " وَإِذْ قَالَ اللَّه يَا عِيسَى اِبْن مَرْيَم أَأَنْت قُلْت لِلنَّاسِ اِتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُون اللَّه قَالَ سُبْحَانك مَا يَكُون لِي أَنْ أَقُول مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْت قُلْته فَقَدْ عَلِمْته تَعْلَم مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَم مَا فِي نَفْسك إِنَّك أَنْتَ عَلَّام الْغُيُوب مَا قُلْت لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتنِي بِهِ " الْآيَة

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا"18"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُجِيب بِهِ الْمَعْبُودُونَ يَوْم الْقِيَامَة " قَالُوا سُبْحَانك مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذ مِنْ دُونك مِنْ أَوْلِيَاء" قَرَأَ الْأَكْثَرُونَ بِفَتْحِ النُّون مِنْ قَوْله " نَتَّخِذ مِنْ دُونك مِنْ أَوْلِيَاء " أَيْ لَيْسَ لِلْخَلَائِقِ كُلّهمْ أَنْ يَعْبُدُوا أَحَدًا سِوَاك لَا نَحْنُ وَلَا هُمْ فَنَحْنُ مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ بَلْ هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ تِلْقَاء أَنْفُسهمْ مِنْ غَيْر أَمْرنَا وَلَا رِضَانَا وَنَحْنُ بُرَآء مِنْهُمْ وَمِنْ عِبَادَتهمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَيَوْم يَحْشُرهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُول لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانك " الْآيَة وَقَرَأَ آخَرُونَ " مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذ مِنْ دُونك مِنْ أَوْلِيَاء " أَيْ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْبُدنَا فَإِنَّا عَبِيد لَك فُقَرَاء إِلَيْك وَهِيَ قَرِيبَة الْمَعْنَى مِنْ الْأُولَى" وَلَكِنْ مَتَّعْتهمْ وَآبَاءَهُمْ " أَيْ طَالَ عَلَيْهِمْ الْعُمُر حَتَّى نَسُوا الذِّكْر أَيْ نَسُوا مَا أَنْزَلْته إِلَيْهِمْ عَلَى أَلْسِنَة رُسُلك مِنْ الدَّعْوَة إِلَى عِبَادَتك وَحْدك لَا شَرِيك لَك " وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا " قَالَ اِبْن عَبَّاس أَيْ هَلْكَى وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ وَمَالِك عَنْ الزُّهْرِيّ أَيْ لَا خَيْر فِيهِمْ وَقَالَ اِبْن الزِّبَعْرَى حِين أَسْلَمَ : يَا رَسُول الْمَلِيك إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِق مَا فَتَقْت إِذْ أَنَا بُور إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَان فِي سُنَن الْ ... غَيّ وَمَنْ مَالَ مَيْله مَثْبُور[1]

فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا"19"

قَالَ اللَّه تَعَالَى " فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ " أَيْ فَقَدْ كَذَّبَكُمْ الَّذِينَ عَبَدْتُمْ مِنْ دُون اللَّه فِيمَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ لَكُمْ أَوْلِيَاء وَأَنَّهُمْ يُقَرِّبُونَكُمْ إِلَى اللَّه زُلْفَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَمَنْ أَضَلّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُون اللَّه مَنْ لَا يَسْتَجِيب لَهُ إِلَى يَوْم

[1]- عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1351.

الْقِيَامَة وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاس كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ " وَقَوْله " فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا " أَيْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى صَرْف الْعَذَاب عَنْهُمْ وَلَا الِانْتِصَار لِأَنْفُسِهِمْ " وَمَنْ يَظْلِم مِنْكُمْ" أَيْ يُشْرِك بِاَللَّهِ " نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا[1]. "

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا"20"

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ جَمِيع مَنْ بَعَثَهُ مِنْ الرُّسُل الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَام وَيَحْتَاجُونَ إِلَى التَّغَذِّي بِهِ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاق لِلتَّكَسُّبِ وَالتِّجَارَة وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُنَافٍ لِحَالِهِمْ وَمَنْصِبهمْ فَإِنَّ اللَّه تَعَالَى جَعَلَ لَهُمْ مِنْ السِّمَات الْحَسَنَة وَالصِّفَات الْجَمِيلَة وَالْأَقْوَال الْفَاضِلَة وَالْأَعْمَال الْكَامِلَة وَالْخَوَارِق الْبَاهِرَة وَالْأَدِلَّة الظَّاهِرَة مَا يَسْتَدِلّ بِهِ كُلّ ذِي لُبّ سَلِيم وَبَصِيرَة مُسْتَقِيمَة عَلَى صِدْق مَا جَاءُوا بِهِ مِنْ اللَّه وَنَظِير هَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة قَوْله تَعَالَى " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلك إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْل الْقُرَى " وَقَوْله : " وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَام " الْآيَة وَقَوْله تَعَالَى : " وَجَعَلْنَا بَعْضكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَة أَتَصْبِرُونَ " أَيْ اِخْتَبَرْنَا بَعْضكُمْ بِبَعْضٍ وَبَلَوْنَا بَعْضكُمْ بِبَعْضٍ لِنَعْلَم مَنْ يُطِيع مِمَّنْ يَعْصِي وَلِهَذَا قَالَ " أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبّك بَصِيرًا" أَيْ بِمَنْ يَسْتَحِقّ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " اللَّه أَعْلَم حَيْثُ يَجْعَل رِسَالَته " وَمَنْ يَسْتَحِقّ أَنْ يَهْدِيه اللَّه لِمَا أَرْسَلَهُمْ بِهِ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقّ ذَلِكَ وَقَالَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق فِي قَوْله : " وَجَعَلْنَا بَعْضكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَة أَتَصْبِرُونَ " قَالَ : يَقُول اللَّه لَوْ شِئْت أَنْ أَجْعَل الدُّنْيَا مَعَ رُسُلِي فَلَا يُخَالِفُونَ لَفَعَلْت وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْت أَنْ أَبْتَلِيَ الْعِبَاد بِهِمْ وَأَبْتَلِيكُمْ بِهِمْ وَفِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ عِيَاض بْن حِمَار عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَقُول اللَّه تَعَالَى إِنِّي مُبْتَلِيك وَمُبْتَلِي بِك " وَفِي الْمُسْنَد عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَوْ شِئْت لَأَجْرَى اللَّه مَعِي جِبَال الذَّهَب وَالْفِضَّة " وَفِي الصَّحِيح أَنَّهُ عَلَيْهِ أَفْضَل الصَّلَاة وَالسَّلَام خُيِّرَ بَيْن أَنْ يَكُون نَبِيًّا مَلَكًا أَوْ عَبْدًا رَسُولًا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُون عَبْدًا رَسُولًا.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا"21"

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ تَعَنُّت الْكُفَّار فِي كُفْرهمْ وَعِنَادهمْ فِي قَوْلهمْ : " لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَة " أَيْ بِالرِّسَالَةِ كَمَا تَنْزِل عَلَى الْأَنْبِيَاء كَمَا أَخْبَرَ اللَّه عَنْهُمْ فِي الْآيَة الْأُخْرَى" قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْل مَا أُوتِيَ رُسُل اللَّه" وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون مُرَادهمْ هَهُنَا " لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَة " فَنَرَاهُمْ عِيَانًا فَيُخْبِرُونَا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللَّه كَقَوْلِهِمْ " حَتَّى تَأْتِيَ بِاَللَّهِ وَالْمَلَائِكَة قَبِيلًا " وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرهَا فِي سُورَة سُبْحَان وَلِهَذَا قَالُوا : " أَوْ نَرَى رَبّنَا " وَلِهَذَا قَالَ اللَّه تَعَالَى " لَقَدْ اِسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسهمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا " وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : " وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلَائِكَة وَكَلَّمَهُمْ الْمَوْتَى " .

[1]- عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم ، ص1352

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا"22"

وَقَوْله تَعَالَى : " يَوْم يَرَوْنَ الْمَلَائِكَة لَا بُشْرَى يَوْمئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا " أَيْ هُمْ لَا يَرَوْنَ الْمَلَائِكَة فِي يَوْم خَيْر لَهُمْ بَلْ يَوْم يَرَوْنَهُمْ لَا بُشْرَى يَوْمئِذٍ لَهُمْ وَذَلِكَ يَصْدُق عَلَى وَقْت الِاحْتِضَار حِين تُبَشِّرهُمْ الْمَلَائِكَة بِالنَّارِ وَالْغَضَب مِنْ الْجَبَّار فَتَقُول الْمَلَائِكَة لِلْكَافِرِ عِنْد خُرُوج رُوحه : أُخْرُجِي أَيَّتهَا النَّفْس الْخَبِيثَة فِي الْجَسَد الْخَبِيث أُخْرُجِي إِلَى سَمُوم وَحَمِيم وَظِلّ مِنْ يَحْمُوم فَتَأْبَى الْخُرُوج وَتَتَفَرَّق فِي الْبَدَن فَيَضْرِبُونَهُ كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى " وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَة يَضْرِبُونَ وُجُوههمْ وَأَدْبَارهمْ " الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى : " وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَات الْمَوْت وَالْمَلَائِكَة بَاسِطُو أَيْدِيهمْ " أَيْ بِالضَّرْبِ " أَخْرِجُوا أَنْفُسكُمْ الْيَوْم تُجْزَوْنَ عَذَاب الْهُون بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّه غَيْر الْحَقّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاته تَسْتَكْبِرُونَ " وَلِهَذَا قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة " يَوْم يَرَوْنَ الْمَلَائِكَة لَا بُشْرَى يَوْمئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ " وَهَذَا بِخِلَافِ حَال الْمُؤْمِنِينَ حَال اِحْتِضَارهمْ فَإِنَّهُمْ يُبَشِّرُونَ بِالْخَيْرَاتِ وَحُصُول الْمَسَرَّات قَالَ اللَّه تَعَالَى : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبّنَا اللَّه ثُمَّ اِسْتَقَامُوا تَتَنَزَّل عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَة أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَة وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُور رَحِيم " وَفِي الْحَدِيث الصَّحِيح عَنْ الْبَرَاء بْن عَازِب : أَنَّ الْمَلَائِكَة تَقُول لِرُوحِ الْمُؤْمِن أُخْرُجِي أَيَّتهَا النَّفْس الطَّيِّبَة فِي الْجَسَد الطَّيِّب كُنْت تَعْمُرِينَهُ أُخْرُجِي إِلَى رَوْح وَرَيْحَان وَرَبّ غَيْر غَضْبَان وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيث فِي سُورَة إِبْرَاهِيم عِنْد قَوْله تَعَالَى : " يُثَبِّت اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِت فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَة وَيُضِلّ اللَّه الظَّالِمِينَ وَيَفْعَل اللَّه مَا يَشَاء " وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ : " يَوْم يَرَوْنَ الْمَلَائِكَة لَا بُشْرَى " يَعْنِي يَوْم الْقِيَامَة[1].

قَالَهُ مُجَاهِد وَالضَّحَّاك وَغَيْرهمَا وَلَا مُنَافَاة بَيْن هَذَا وَمَا تَقَدَّمَ فَإِنَّ الْمَلَائِكَة فِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ يَوْم الْمَمَات وَيَوْم الْمَعَاد تَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْكَافِرِينَ فَتُبَشِّر الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَان وَتُخْبِر الْكَافِرِينَ بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَان فَلَا بُشْرَى يَوْمئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ " وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا " أَيْ وَتَقُول الْمَلَائِكَة لِلْكَافِرِينَ حَرَام مُحَرَّم عَلَيْكُمْ الْفَلَاح الْيَوْم وَأَصْل الْحَجْر الْمَنْع وَمِنْهُ يُقَال حَجَرَ الْقَاضِي عَلَى فُلَان إِذَا مَنَعَهُ التَّصَرُّف إِمَّا لِفَلَسٍ أَوْ سَفَه أَوْ صِغَر أَوْ نَحْو ذَلِكَ وَمِنْهُ سُمِّيَ الْحِجْر عِنْد الْبَيْت الْحَرَام لِأَنَّهُ يُمْنَع الطُّوَّاف أَنْ يَطُوفُوا فِيهِ وَإِنَّمَا يُطَاف مِنْ وَرَائِهِ وَمِنْهُ يُقَال لِلْعَقْلِ حِجْر لِأَنَّهُ يَمْنَع صَاحِبه عَنْ تَعَاطِي مَا لَا يَلِيق وَالْغَرَض أَنَّ الضَّمِير فِي قَوْله : " وَيَقُولُونَ " عَائِد عَلَى الْمَلَائِكَة هَذَا قَوْل مُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَالْحَسَن وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة وَعَطِيَّة الْعَوْفِيّ وَعَطَاء الْخُرَاسَانِيّ وَخُصَيْف وَغَيْر وَاحِد وَاخْتَارَهُ اِبْن جَرِير . وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا مُوسَى يَعْنِي اِبْن قَيْس عَنْ عَطِيَّة الْعَوْفِيّ عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ فِي الْآيَة" وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا " قَالَ حَرَامًا مُحَرَّمًا أَنْ يُبَشَّر بِمَا يُبَشَّر بِهِ الْمُتَّقُونَ وَقَدْ حَكَى اِبْن جَرِير عَنْ اِبْن جُرَيْج أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ مِنْ كَلَام الْمُشْرِكِينَ" يَوْم يَرَوْنَ الْمَلَائِكَة " أَيْ يَتَعَوَّذُونَ مِنْ الْمَلَائِكَة وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَب كَانُوا إِذَا نَزَلَ بِأَحَدِهِمْ نَازِلَة أَوْ شِدَّة يَقُول " حِجْرًا مَحْجُورًا " وَهَذَا الْقَوْل وَإِنْ كَانَ لَهُ مَأْخَذ وَوَجْه وَلَكِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1353

إِلَى السِّيَاق بَعِيد لَا سِيَّمَا وَقَدْ نَصَّ الْجُمْهُور عَلَى خِلَافه وَلَكِنْ قَدْ رَوَى اِبْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْله : " حِجْرًا مَحْجُورًا " أَيْ عَوْذًا مُعَاذًا فَيُحْتَمَل أَنَّهُ أَرَادَ مَا ذَكَرَهُ اِبْن جُرَيْج وَلَكِنْ فِي رِوَايَة اِبْن أَبِي حَاتِم عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد أَنَّهُ قَالَ " حِجْرًا مَحْجُورًا " عَوْذًا مُعَاذًا الْمَلَائِكَة تَقُول ذَلِكَ فَاَللَّه أَعْلَم.

وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا"23"

وَقَوْله تَعَالَى : " وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَل" الْآيَة هَذَا يَوْم الْقِيَامَة حِين يُحَاسِب اللَّه الْعِبَاد عَلَى مَا عَمِلُوهُ مِنْ الْخَيْر وَالشَّرّ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَحْصُل لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ الْأَعْمَال الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا مَنْجَاة لَهُمْ شَيْء وَذَلِكَ لِأَنَّهَا فَقَدَتْ الشَّرْط الشَّرْعِيّ إِمَّا الْإِخْلَاص فِيهَا وَإِمَّا الْمُتَابَعَة لِشَرْعِ اللَّه فَكُلّ عَمَل لَا يَكُون خَالِصًا وَعَلَى الشَّرِيعَة الْمَرْضِيَّة فَهُوَ بَاطِل فَأَعْمَال الْكُفَّار لَا تَخْلُو مِنْ وَاحِد مِنْ هَذَيْنِ وَقَدْ تَجْمَعهُمَا مَعًا فَتَكُون أَبْعَد مِنْ الْقَبُول حِينَئِذٍ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَل فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَنْثُورًا " قَالَ مُجَاهِد وَالثَّوْرِيّ " وَقَدِمْنَا" أَيْ عَمَدْنَا وَكَذَا قَالَ السُّدِّيّ وَبَعْضهمْ يَقُول أَتَيْنَا عَلَيْهِ وَقَوْله تَعَالَى : " فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَنْثُورًا " قَالَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ الْحَارِث عَنْ عَلِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فِي قَوْله : " هَبَاء مَنْثُورًا " قَالَ شُعَاع الشَّمْس إِذَا دَخَلَ الْكُوَّة وَكَذَا رُوِيَ مِنْ غَيْر هَذَا الْوَجْه عَنْ عَلِيّ وَرُوِيَ مِثْله عَنْ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالسُّدِّيّ وَالضَّحَّاك وَغَيْرهمْ وَكَذَا قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ هُوَ الشُّعَاع فِي كُوَّة أَحَدكُمْ وَلَوْ ذَهَبَ يَقْبِض عَلَيْهِ لَمْ يَسْتَطِعْ . وَقَالَ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس " هَبَاء مَنْثُورًا " قَالَ هُوَ الْمَاء الْمُهْرَاق وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَص عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ الْحَارِث عَنْ عَلِيّ " هَبَاء مَنْثُورًا " قَالَ الْهَبَاء وَهْج الدَّوَابّ وَرُوِيَ مِثْله عَنْ اِبْن عَبَّاس أَيْضًا وَالضَّحَّاك وَقَالَهُ عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلَم وَقَالَ قَتَادَة فِي قَوْله : " هَبَاء مَنْثُورًا " قَالَ أَمَا رَأَيْت يُبْس الشَّجَر إِذَا ذَرَّته الرِّيح ؟ فَهُوَ ذَلِكَ الْوَرَق وَقَالَ عَبْد اللَّه بْن وَهْب أَخْبَرَنِي عَاصِم بْن حَكِيم عَنْ أَبِي سَرِيع الطَّائِيّ عَنْ عُبَيْد بْن يَعْلَى قَالَ وَإِنَّ الْهَبَاء الرَّمَاد إِذَا ذَرَّته الرِّيح وَحَاصِل هَذِهِ الْأَقْوَال التَّنْبِيه عَلَى مَضْمُون الْآيَة وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا أَعْمَالًا اِعْتَقَدُوا أَنَّهَا عَلَى شَيْء فَلَمَّا عُرِضَتْ عَلَى الْمَلِك الْحَكَم الْعَدْل الَّذِي لَا يَجُور وَلَا يَظْلِم أَحَدًا إِذَا إِنَّهَا لَا شَيْء بِالْكُلِّيَّةِ وَشُبِّهَتْ فِي ذَلِكَ بِالشَّيْءِ التَّافِه الْحَقِير الْمُتَفَرِّق الَّذِي لَا يَقْدِر صَاحِبه مِنْهُ عَلَى شَيْء بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى :" مَثَل الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالهمْ كَرَمَادٍ اِشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيح " الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى : " يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى – إِلَى قَوْله تَعَالَى – لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْء مِمَّا كَسَبُوا " وَقَالَ تَعَالَى : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالهمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبهُ الظَّمْآن مَاء حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدهُ شَيْئًا" وَتَقَدَّمَ الْكَلَام عَلَى تَفْسِير ذَلِكَ وَلِلَّهِ الْحَمْد وَالْمِنَّة[1].

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا"24"

وَقَوْله تَعَالَى : " أَصْحَاب الْجَنَّة يَوْمئِذٍ خَيْر مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَن مَقِيلًا " أَيْ يَوْم الْقِيَامَة " لَا يَسْتَوِي أَصْحَاب النَّار وَأَصْحَاب الْجَنَّة أَصْحَاب الْجَنَّة هُمْ الْفَائِزُونَ" وَذَلِكَ أَنَّ أَهْل الْجَنَّة يَصِيرُونَ إِلَى الدَّرَجَات الْعَالِيَات وَالْغُرُفَات الْآمِنَات فَهُمْ فِي مَقَام أَمِين حَسَن الْمَنْظَر طَيِّب الْمَقَام " خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا" وَأَهْل النَّار

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1353

يَصِيرُونَ إِلَى الدَّرَكَات السَّافِلَات وَالْحَسَرَات الْمُتَتَابِعَات وَأَنْوَاع الْعَذَاب وَالْعُقُوبَات " إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا " أَيْ بِئْسَ الْمَنْزِل مَنْظَرًا وَبِئْسَ الْمَقِيل مَقَامًا وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " أَصْحَاب الْجَنَّة يَوْمئِذٍ خَيْر مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَن مَقِيلًا " أَيْ بِمَا عَمِلُوهُ مِنْ الْأَعْمَال الْمُتَقَبَّلَة نَالُوا مَا نَالُوا وَصَارُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ بِخِلَافِ أَهْل النَّار فَإِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ عَمَل وَاحِد يَقْتَضِي دُخُول الْجَنَّة لَهُمْ وَالنَّجَاة مِنْ النَّار فَنَبَّهَ تَعَالَى بِحَالِ السُّعَدَاء عَلَى حَال الْأَشْقِيَاء وَأَنَّهُ لَا خَيْر عِنْدهمْ بِالْكُلِّيَّةِ فَقَالَ تَعَالَى : " أَصْحَاب الْجَنَّة يَوْمئِذٍ خَيْر مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَن مَقِيلًا " قَالَ الضَّحَّاك عَنْ اِبْن عَبَّاس : إِنَّمَا هِيَ سَاعَة فَيَقِيل أَوْلِيَاء اللَّه عَلَى الْأَسِرَّة مَعَ الْحُور الْعِين وَيَقِيل أَعْدَاء اللَّه مَعَ الشَّيَاطِين مُقَرَّنِينَ وَقَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر : يَفْرُغ اللَّه مِنْ الْحِسَاب نِصْف النَّهَار فَيَقِيلُ أَهْل الْجَنَّة فِي الْجَنَّة وَأَهْل النَّار فِي النَّار قَالَ اللَّه تَعَالَى : " أَصْحَاب الْجَنَّة يَوْمئِذٍ خَيْر مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَن مَقِيلًا " وَقَالَ عِكْرِمَة : إِنِّي لَأَعْرِف السَّاعَة الَّتِي يَدْخُل فِيهَا أَهْل الْجَنَّة الْجَنَّة وَأَهْل النَّار النَّار وَهِيَ السَّاعَة الَّتِي تَكُون فِي الدُّنْيَا عِنْد اِرْتِفَاع الضُّحَى الْأَكْبَر إِذَا اِنْقَلَبَ النَّاس إِلَى أَهْلِيهِمْ لِلْقَيْلُولَةِ فَيَنْصَرِف أَهْل النَّار إِلَى النَّار وَأَمَّا أَهْل الْجَنَّة فَيُنْطَلَق بِهِمْ إِلَى الْجَنَّة فَكَانَتْ قَيْلُولَتهمْ فِي الْجَنَّة وَأُطْعِمُوا كَبِد حُوت فَأَشْبَعَهُمْ كُلّهمْ وَذَلِكَ قَوْله : " أَصْحَاب الْجَنَّة يَوْمئِذٍ خَيْر مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَن مَقِيلًا " وَقَالَ سُفْيَان عَنْ مَيْسَرَة عَنْ الْمِنْهَال عَنْ أَبِي عُبَيْدَة عَنْ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود قَالَ : لَا يَنْتَصِف النَّهَار حَتَّى يُقْبِل هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ثُمَّ قَرَأَ " أَصْحَاب الْجَنَّة يَوْمئِذٍ خَيْر مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَن مَقِيلًا " وَقَرَأَ" ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعهمْ لَإِلَى الْجَحِيم " وَقَالَ الْعَوْفِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس فِي قَوْله " أَصْحَاب الْجَنَّة يَوْمئِذٍ خَيْر مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَن مَقِيلًا " قَالَ قَالُوا فِي الْغُرَف مِنْ الْجَنَّة وَكَانَ حِسَابهمْ إِذْ عُرِضُوا عَلَى رَبّهمْ عَرْضَة وَاحِدَة وَذَلِكَ الْحِسَاب الْيَسِير وَهُوَ مِثْل قَوْله تَعَالَى : " فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابه بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَب حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِب إِلَى أَهْله مَسْرُورًا " وَقَالَ قَتَادَة " خَيْر مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَن مَقِيلًا " مَأْوَى وَمَنْزِلًا وَقَالَ قَتَادَة وَحَدَّثَ صَفْوَان بْن مُحَرِّز أَنَّهُ قَالَ : يُجَاء بِرَجُلَيْنِ يَوْم الْقِيَامَة أَحَدهمَا كَانَ مَلِكًا فِي الدُّنْيَا إِلَى الْحُمْرَة وَالْبَيَاض فَيُحَاسَب فَإِذَا عَبْد لَمْ يَعْمَل خَيْرًا قَطُّ فَيُؤْمَر بِهِ إِلَى النَّار وَالْآخَر كَانَ صَاحِب كِسَاء فِي الدُّنْيَا فَيُحَاسَب فَيَقُول يَا رَبّ مَا أَعْطَيْتنِي مِنْ شَيْء فَتُحَاسِبنِي بِهِ فَيَقُول اللَّهُ : صَدَقَ عَبْدِي فَأَرْسِلُوهُ فَيُؤْمَر بِهِ إِلَى الْجَنَّة ثُمَّ يُتْرَكَانِ مَا شَاءَ اللَّه ثُمَّ يُدْعَى صَاحِب النَّار فَإِذَا هُوَ مِثْل الْحُمَمَة السَّوْدَاء فَيُقَال لَهُ كَيْف وَجَدْت ؟ فَيَقُول شَرّ مَقِيل فَيُقَال لَهُ عُدْ ثُمَّ يُدْعَى بِصَاحِبِ الْجَنَّة فَإِذَا هُوَ مِثْل الْقَمَر لَيْلَة الْبَدْر فَيُقَال لَهُ كَيْف وَجَدْت ؟ فَيَقُول رَبّ خَيْر مَقِيل فَيُقَال لَهُ عُدْ . رَوَاهَا اِبْن أَبِي حَاتِم كُلّهَا وَقَالَ اِبْن جَرِير : حَدَّثَنِي يُونُس أَنْبَأَنَا اِبْن وَهْب أَنْبَأَنَا عَمْرو بْن الْحَارِث أَنَّ سَعِيدًا الصَّوَّاف حَدَّثَهُ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ يَوْم الْقِيَامَة يَقْصُر عَلَى الْمُؤْمِن حَتَّى يَكُون كَمَا بَيْن الْعَصْر إِلَى غُرُوب الشَّمْس وَأَنَّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي رِيَاض الْجَنَّة حَتَّى يَفْرُغ مِنْ النَّاس وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى : " أَصْحَاب الْجَنَّة يَوْمئِذٍ خَيْر مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَن مَقِيلًا[1]. "

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا"25"

1- عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم ، ص1354

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ هَوْل يَوْم الْقِيَامَة وَمَا يَكُون فِيهِ مِنْ الْأُمُور الْعَظِيمَة فَمِنْهَا اِنْشِقَاق السَّمَاء وَتَفَطُّرهَا وَانْفِرَاجهَا بِالْغَمَامِ وَهُوَ ظُلَل النُّور الْعَظِيم الَّذِي يُبْهِر الْأَبْصَار وَنُزُول مَلَائِكَة السَّمَوَات يَوْمئِذٍ فَيُحِيطُونَ بِالْخَلَائِقِ فِي مَقَام الْمَحْشَر ثُمَّ يَجِيء الرَّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاء.

قَالَ مُجَاهِد وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمْ اللَّه فِي ظُلَل مِنْ الْغَمَام وَالْمَلَائِكَة " الْآيَة قَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَمَّار بْن الْحَارِث حَدَّثَنَا مُؤَمَّل حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد عَنْ يُوسُف بْن مِهْرَان عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَة " وَيَوْم تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَة تَنْزِيلًا" قَالَ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا يَجْمَع اللَّه تَعَالَى الْخَلْق يَوْم الْقِيَامَة فِي صَعِيد وَاحِد الْجِنّ وَالْإِنْس وَالْبَهَائِم وَالسِّبَاع وَالطَّيْر وَجَمِيع الْخَلْق فَتَنْشَقّ السَّمَاء الدُّنْيَا فَيَنْزِل أَهْلهَا وَهُمْ أَكْثَر مِنْ الْجِنّ وَالْإِنْس وَمِنْ جَمِيع الْخَلْق فَيُحِيطُونَ بِالْجِنِّ وَالْإِنْس وَبِجَمِيعِ الْخَلْق ثُمَّ تَنْشَقّ السَّمَاء الثَّانِيَة فَيَنْزِل أَهْلهَا فَيُحِيطُونَ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ نَزَلُوا قَبْلهمْ وَبِالْجِنِّ وَالْإِنْس وَجَمِيع الْخَلْق وَهُمْ أَكْثَر مِنْ أَهْل السَّمَاء الدُّنْيَا وَمِنْ جَمِيع الْخَلْق ثُمَّ تَنْشَقّ السَّمَاء الثَّالِثَة فَيَنْزِل أَهْلهَا وَهُمْ أَكْثَر مِنْ أَهْل السَّمَاء الثَّانِيَة وَالسَّمَاء الدُّنْيَا وَمِنْ جَمِيع الْخَلْق فَيُحِيطُونَ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ نَزَلُوا قَبْلهمْ وَبِالْجِنِّ وَالْإِنْس وَجَمِيع الْخَلْق ثُمَّ كَذَلِكَ كُلّ سَمَاء عَلَى ذَلِكَ التَّضْعِيف حَتَّى تَنْشَقّ السَّمَاء السَّابِعَة فَيَنْزِل أَهْلهَا وَهُمْ أَكْثَر مِمَّنْ نَزَلَ قَبْلهمْ مِنْ أَهْل السَّمَوَات وَمِنْ الْجِنّ وَالْإِنْس وَمِنْ جَمِيع الْخَلْق فَيُحِيطُونَ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ نَزَلُوا قَبْلهمْ مِنْ أَهْل السَّمَوَات وَبِالْجِنِّ وَالْإِنْس وَجَمِيع الْخَلْق كُلّهمْ وَيَنْزِل رَبّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي ظُلَل مِنْ الْغَمَام وَحَوْله الْكَرُوبِيُّونَ وَهُمْ أَكْثَر مِنْ أَهْل السَّمَوَات السَّبْع وَمِنْ الْجِنّ وَالْإِنْس وَجَمِيع الْخَلْق لَهُمْ قُرُون كَأَكْعُبِ الْقَنَا وَهُمْ تَحْت الْعَرْش لَهُمْ زَجَل بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيل وَالتَّقْدِيس لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا بَيْن أَخْمَص قَدَم أَحَدهمْ إِلَى كَعْبه مَسِيرَة خَمْسمِائَةِ عَام وَمَا بَيْن كَعْبه إِلَى رُكْبَتَيْهِ مَسِيرَة خَمْسمِائَةِ عَام مَا بَيْن رُكْبَته إِلَى حُجْزَته مَسِيرَة خَمْسمِائَةِ عَام وَمَا بَيْن حُجْزَته إِلَى تَرْقُوَته مَسِيرَة خَمْسمِائَةِ عَام وَمَا بَيْن تَرْقُوَته إِلَى مَوْضِع الْقُرْط مَسِيرَة خَمْسمِائَةِ عَام وَمَا فَوْق ذَلِكَ مَسِيرَة خَمْسمِائَةِ عَام وَجَهَنَّم مُحِسَّة هَكَذَا رَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم بِهَذَا السِّيَاق وَقَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنَا الْقَاسِم حَدَّثَنَا الْحُسَيْن حَدَّثَنِي الْحَجَّاج عَنْ مُبَارَك بْن فَضَالَة عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان عَنْ يُوسُف بْن مِهْرَان أَنَّهُ سَمِعَ اِبْن عَبَّاس يَقُول : إِنَّ هَذِهِ السَّمَاء إِذَا اِنْشَقَّتْ يَنْزِل مِنْهَا مِنْ الْمَلَائِكَة أَكْثَر مِنْ الْإِنْس وَالْجِنّ وَهُوَ يَوْم التَّلَاق يَوْم يَلْتَقِي أَهْل السَّمَاء وَأَهْل الْأَرْض فَيَقُول أَهْل الْأَرْض جَاءَ رَبّنَا ؟ فَيَقُولُونَ لَمْ يَجِئْ وَهُوَ آتٍ ثُمَّ تَنْشَقّ السَّمَاء الثَّانِيَة ثُمَّ سَمَاء سعَلَى قَدْر ذَلِكَ مِنْ التَّضْعِيف إِلَى السَّمَاء السَّابِعَة فَيَنْزِل مِنْهَامِنْ الْمَلَائِكَة أَكْثَر مِنْ جَمِيع مَنْ نَزَلَ مِنْ السَّمَوَات وَمِنْ الْجِنّ وَالْإِنْس قَالَ فَتَنْزِل الْمَلَائِكَة الْكَرُوبِيُّونَ ثُمَّ يَأْتِي رَبّنَا فِي حَمَلَة الْعَرْش الثَّمَانِيَة بَيْن كَعْب كُلّ مَلَك وَرُكْبَته مَسِيرَة سَبْعِينَ سَنَة وَبَيْن فَخِذه وَمَنْكِبه مَسِيرَة سَبْعِينَ سَنَة قَالَ وَكُلّ مَلَك مِنْهُمْ لَمْ يَتَأَمَّل وَجْه صَاحِبه وَكُلّ مَلَك مِنْهُمْ وَاضِع رَأْسه بَيْن ثَدْيَيْهِ يَقُول سُبْحَان الْمَلِك الْقُدُّوس وَعَلَى رُءُوسهمْ شَيْء مَبْسُوط كَأَنَّهُ الْقَنَا وَالْعَرْش فَوْق ذَلِكَ ثُمَّ وَقَفَ فَمَدَاره عَلَى عَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان وَفِيهِ ضَعْف فِي سِيَاقَاته غَالِبًا وَفِيهَا نَكَارَة شَدِيدَة وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيث الصُّور الْمَشْهُور قَرِيب مِنْ هَذَا وَاَللَّه أَعْلَم وَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى : " فَيَوْمئِذٍ وَقَعَتْ الْوَاقِعَة وَانْشَقَّتْ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمئِذٍ وَاهِيَة وَالْمَلَك عَلَى

أَرْجَائِهَا وَيَحْمِل عَرْش رَبّك فَوْقهمْ يَوْمئِذٍ ثَمَانِيَة " قَالَ شَهْر بْن حَوْشَب حَمَلَة الْعَرْش ثَمَانِيَة أَرْبَعَة مِنْهُمْ يَقُولُونَ : سُبْحَانك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك لَك الْحَمْد عَلَى حِلْمك بَعْد عِلْمك وَأَرْبَعَة يَقُولُونَ : سُبْحَانك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك لَك الْحَمْد عَلَى عَفْوك بَعْد قُدْرَتك رَوَاهُ اِبْن جَرِير عَنْهُ وَقَالَ أَبُو بَكْر بْن عَبْد اللَّه إِذَا نَظَرَ أَهْل الْأَرْض إِلَى الْعَرْش يَهْبِط عَلَيْهِمْ مَنْ فَوْقهمْ شَخَصَتْ إِلَيْهِ أَبْصَارهمْ وَرَجَفَتْ كُلَاهُمْ فِي أَجْوَافهمْ وَطَارَتْ قُلُوبهمْ مِنْ مَقَرّهَا مِنْ صُدُورهمْ إِلَى حَنَاجِرهمْ قَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنَا الْقَاسِم حَدَّثَنَا الْحُسَيْن حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان عَنْ عَبْد الْجَلِيل عَنْ أَبِي حَازِم عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو قَالَ : يَهْبِط اللَّه عَزَّ وَجَلَّ حِين يَهْبِط وَبَيْنه وَبَيْن خَلْقه سَبْعُونَ أَلْف حِجَاب مِنْهَا النُّور وَالظُّلْمَة فَيَضْرِب الْمَاء فِي تِلْكَ الظُّلْمَة صَوْتًا تَنْخَلِع لَهُ الْقُلُوب وَهَذَا مَوْقُوف عَلَى عَبْد اللَّه بْن عَمْرو مِنْ كَلَامه وَلَعَلَّهُ مِنْ الزَّامِلَتَيْنِ وَاَللَّه أَعْلَم.

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا"26"

وَقَوْله تَعَالَى : " الْمُلْك يَوْمئِذٍ الْحَقّ لِلرَّحْمَنِ" الْآيَة كَمَا قَالَ تَعَالَى : " لِمَنْ الْمُلْك الْيَوْم لِلَّهِ الْوَاحِد الْقَهَّار " وَفِي الصَّحِيح أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَطْوِي السَّمَوَات بِيَمِينِهِ وَيَأْخُذ الْأَرْضِينَ بِيَدِهِ الْأُخْرَى ثُمَّ يَقُول : أَنَا الْمَلِك أَنَا الدَّيَّان أَيْنَ مُلُوك الْأَرْض ؟ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ وَقَوْله : " وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا " أَيْ شَدِيدًا صَعْبًا لِأَنَّهُ يَوْم عَدْل وَقَضَاء فَصْل كَمَا قَالَ تَعَالَى : " فَذَلِكَ يَوْمئِذٍ يَوْم عَسِير عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْر يَسِير " فَهَذَا حَال الْكَافِرِينَ فِي هَذَا الْيَوْم وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَكَمَا قَالَ تَعَالَى : " لَا يَحْزُنُهُمْ الْفَزَع الْأَكْبَر " الْآيَة . وَرَوَى الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا حُسَيْن بْن مُوسَى حَدَّثَنَا اِبْن لَهِيعَة حَدَّثَنَا دَرَّاج عَنْ أَبِي الْهَيْثَم عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُول اللَّه يَوْم كَانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلْف سَنَة مَا أَطْوَل هَذَا الْيَوْم ! فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّف عَلَى الْمُؤْمِن حَتَّى يَكُون أَخَفّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاة مَكْتُوبَة يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا. "

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ"27"

وَقَوْله تَعَالَى : " وَيَوْم يَعَضّ الظَّالِم عَلَى يَدَيْهِ " الْآيَة يُخْبِر تَعَالَى عَنْ نَدَم الظَّالِم الَّذِي فَارَقَ طَرِيق الرَّسُول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْد اللَّه مِنْ الْحَقّ الْمُبِين الَّذِي لَا مِرْيَة فِيهِ وَسَلَكَ طَرِيقًا أُخْرَى غَيْر سَبِيل الرَّسُول فَإِذَا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة نَدِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعهُ النَّدَم وَعَضَّ عَلَى يَدَيْهِ حَسْرَة وَأَسَفًا وَسَوَاء كَانَ سَبَب نُزُولهَا فِي عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط أَوْ غَيْره مِنْ الْأَشْقِيَاء فَإِنَّهَا عَامَّة فِي كُلّ ظَالِم كَمَا قَالَ تَعَالَى : " يَوْم تُقَلَّب وُجُوههمْ فِي النَّار " الْآيَتَيْنِ فَكُلّ ظَالِم يَنْدَم يَوْم الْقِيَامَة غَايَة النَّدَم. [1]

يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا "28"

[1]- - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1355

وَيَعَضّ عَلَى يَدَيْهِ قَائِلًا : " يَا لَيْتَنِي اِتَّخَذْت مَعَ الرَّسُول سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذ فُلَانًا خَلِيلًا " يَعْنِي مَنْ صَرَفَهُ عَنْ الْهُدَى وَعَدَلَ بِهِ إِلَى طَرِيق الضَّلَال مِنْ دُعَاة الضَّلَالَة وَسَوَاء فِي ذَلِكَ أُمَيَّة بْن خَلَف أَوْ أَخُوهُ أُبَيّ بْن خَلَف أَوْ غَيْرهمَا.

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا"29"

"لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْر " وَهُوَ الْقُرْآن " بَعْد إِذْ جَاءَنِي " أَيْ بَعْد بُلُوغه إِلَيَّ قَالَ اللَّه تَعَالَى " وَكَانَ الشَّيْطَان لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا " أَيْ يَخْذُلهُ عَنْ الْحَقّ وَيَصْرِفهُ عَنْهُ وَيَسْتَعْمِلهُ فِي الْبَاطِل وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ.

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ"30"

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ رَسُوله وَنَبِيّه مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " يَا رَبّ إِنَّ قَوْمِي اِتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآن مَهْجُورًا " وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصْغُونَ لِلْقُرْآنِ وَلَا يَسْتَمِعُونَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآن وَالْغَوْا فِيهِ " الْآيَة فَكَانُوا إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآن أَكْثَرُوا اللَّغَط وَالْكَلَام فِي غَيْره حَتَّى لَا يَسْمَعُونَهُ فَهَذَا مِنْ هِجْرَانه وَتَرْك الْإِيمَان بِهِ وَتَرْك تَصْدِيقه مِنْ هِجْرَانه وَتَرْك تَدَبُّره وَتَفَهُّمه مِنْ هِجْرَانه وَتَرْك الْعَمَل بِهِ وَامْتِثَال أَوَامِره وَاجْتِنَاب زَوَاجِره مِنْ هِجْرَانه وَالْعُدُول عَنْهُ إِلَى غَيْره مِنْ شِعْر أَوْ قَوْل أَوْ غِنَاء أَوْ لَهْو أَوْ كَلَام أَوْ طَرِيقَة مَأْخُوذَة مِنْ غَيْره مِنْ هِجْرَانه فَنَسْأَل اللَّه الْكَرِيم الْمَنَّان الْقَادِر عَلَى مَا يَشَاء أَنْ يُخَلِّصنَا مِمَّا يُسْخِطهُ ; وَيَسْتَعْمِلنَا فِيمَا يُرْضِيه مِنْ حِفْظ كِتَابه وَفَهْمه وَالْقِيَام بِمُقْتَضَاهُ آنَاء اللَّيْل وَأَطْرَاف النَّهَار عَلَى الْوَجْه الَّذِي يُحِبّهُ وَيَرْضَاهُ إِنَّهُ كَرِيم وَهَّاب وَقَوْله تَعَالَى : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوًّا مِنْ الْمُجْرِمِينَ " أَيْ كَمَا حَصَلَ لَك يَا مُحَمَّد فِي قَوْمك مِنْ الَّذِينَ هَجَرُوا الْقُرْآن كَذَلِكَ كَانَ فِي الْأُمَم الْمَاضِينَ لِأَنَّ اللَّه جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوًّا مِنْ الْمُجْرِمِينَ يَدْعُونَ النَّاس إِلَى ضَلَالهمْ وَكُفْرهمْ.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا"31"

كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوًّا شَيَاطِين الْإِنْس وَالْجِنّ " الْآيَتَيْنِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَهُنَا " وَكَفَى بِرَبِّك هَادِيًا وَنَصِيرًا" أَيْ لِمَنْ اِتَّبَعَ رَسُوله وَآمَنَ بِكِتَابِهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ فَإِنَّ اللَّه هَادِيه وَنَاصِره فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَإِنَّمَا قَالَ " هَادِيًا وَنَصِيرًا " لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَصُدُّونَ النَّاس عَنْ اِتِّبَاع الْقُرْآن لِئَلَّا يَهْتَدِيَ أَحَد بِهِ وَلِتَغْلِب طَرِيقَتهمْ طَرِيقَة الْقُرْآن فَلِهَذَا قَالَ : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوًّا مِنْ الْمُجْرِمِينَ "[1].

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا"32"

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ كَثْرَة اِعْتِرَاض الْكُفَّار وَتَعَنُّتهمْ وَكَلَامهمْ فِيمَا لَا يَعْنِيهِمْ حَيْثُ قَالُوا : " لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآن جُمْلَة وَاحِدَة " أَيْ هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَاب الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ جُمْلَة وَاحِدَة كَمَا نُزِّلَتْ الْكُتُب قَبْله جُمْلَة وَاحِدَة كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيل وَالزَّبُور وَغَيْرهَا مِنْ الْكُتُب الْإِلَهِيَّة فَأَجَابَهُمْ اللَّه تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا نَزَلَ مُنَجَّمًا فِي

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1355

ثَلَاث وَعِشْرِينَ سَنَة بِحَسَبِ الْوَقَائِع وَالْحَوَادِث وَمَا يُحْتَاج إِلَيْهِ مِنْ الْأَحْكَام لِيُثَبِّت قُلُوب الْمُؤْمِنِينَ بِهِ كَقَوْلِهِ : " وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ " الْآيَة وَلِهَذَا قَالَ " لِنُثَبِّت بِهِ فُؤَادك وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا " قَالَ قَتَادَة بَيَّنَّاهُ تَبْيِينًا وَقَالَ اِبْن زَيْد وَفَسَّرْنَاهُ تَفْسِيرًا.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"33"

"وَلَا يَأْتُونَك بِمَثَلٍ " أَيْ بِحُجَّةٍ وَشُبْهَة " إِلَّا جِئْنَاك بِالْحَقِّ وَأَحْسَن تَفْسِيرًا " أَيْ وَلَا يَقُولُونَ قَوْلًا يُعَارِضُونَ بِهِ الْحَقّ إِلَّا أَجَبْنَاهُمْ بِمَا هُوَ الْحَقّ فِي نَفْس الْأَمْر وَأَبْيَن وَأَوْضَح وَأَفْصَح مِنْ مَقَالَتهمْ قَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس " وَلَا يَأْتُونَك بِمَثَلٍ" أَيْ بِمَا يَلْتَمِسُونَ بِهِ عَيْب الْقُرْآن وَالرَّسُول " إِلَّا جِئْنَاك بِالْحَقِّ " الْآيَة أَيْ إِلَّا نَزَلَ جِبْرِيل مِنْ اللَّه تَعَالَى بِجَوَابِهِمْ وَمَا هَذَا إِلَّا اِعْتِنَاء وَكَبِير شَرَف لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ كَانَ يَأْتِيه الْوَحْي مِنْ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُرْآنِ صَبَاحًا وَمَسَاء وَلَيْلًا وَنَهَارًا سَفَرًا وَحَضَرًا وَكُلّ مَرَّة كَانَ يَأْتِيه الْمَلَك بِالْقُرْآنِ لَا كَإِنْزَالِ الْكِتَاب مِمَّا قَبْله مِنْ الْكُتُب الْمُتَقَدِّمَة فَهَذَا الْمَقَام أَعْلَى وَأَجَلّ وَأَعْظَم مَكَانَة مِنْ سَائِر إِخْوَانه الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فَالْقُرْآن أَشْرَف كِتَاب أَنْزَلَهُ اللَّه وَمُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَم نَبِيّ أَرْسَلَهُ اللَّه تَعَالَى وَقَدْ جَمَعَ اللَّه لِلْقُرْآنِ الصِّفَتَيْنِ مَعًا فَفِي الْمَلَأ الْأَعْلَى أُنْزِلَ جُمْلَة وَاحِدَة مِنْ اللَّوْح الْمَحْفُوظ إِلَى بَيْت الْعِزَّة فِي السَّمَاء الدُّنْيَا ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْد ذَلِكَ إِلَى الْأَرْض مُنَجَّمًا بِحَسَبِ الْوَقَائِع وَالْحَوَادِث وَرَوَى النَّسَائِيّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ : أُنْزِلَ الْقُرْآن جُمْلَة وَاحِدَة إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا فِي لَيْلَة الْقَدْر ثُمَّ نَزَلَ بَعْد ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَة قَالَ اللَّه تَعَالَى : " وَلَا يَأْتُونَك بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاك بِالْحَقِّ وَأَحْسَن تَفْسِيرًا " وَقَالَ تَعَالَى :" وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاس عَلَى مُكْث وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا".

الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا"34"

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ سُوء حَال الْكُفَّار فِي مَعَادهمْ يَوْم الْقِيَامَة وَحَشْرهمْ إِلَى جَهَنَّم فِي أَسْوَأ الْحَالَات وَأَقْبَح الصِّفَات . " الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوههمْ إِلَى جَهَنَّم أُولَئِكَ شَرّ مَكَانًا وَأَضَلّ سَبِيلًا" وَفِي الصَّحِيح عَنْ أَنَس أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُول اللَّه كَيْف يُحْشَر الْكَافِر عَلَى وَجْهه يَوْم الْقِيَامَة فَقَالَ " إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ قَادِر أَنْ يُمْشِيه عَلَى وَجْهه يَوْم الْقِيَامَة " وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِد وَالْحَسَن وَقَتَادَة وَغَيْر وَاحِد مِنْ الْمُفَسِّرِينَ[1].

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا"35"

يَقُول تَعَالَى مُتَوَعِّدًا مَنْ كَذَّبَ رَسُوله مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمه وَمَنْ خَالَفَهُ وَمُحَذِّرهمْ مِنْ عِقَابه وَأَلِيم عَذَابه بِمَا أَحَلَّهُ بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَة الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ فَبَدَأَ بِذِكْرِ مُوسَى وَأَنَّهُ بَعَثَهُ وَجَعَلَ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُون وَزِيرًا أَيْ نَبِيًّا مُوَازِرًا وَمُؤَيِّدًا وَنَاصِرًا فَكَذَّبَهُمَا فِرْعَوْن وَجُنُوده.

فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا"36"

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص 1356

"فَدَمَّرَ اللَّه عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالهَا " وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِقَوْمِ نُوح حِين كَذَّبُوا رَسُوله نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَام وَمَنْ كَذَّبَ بِرَسُولٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ الرُّسُل إِذْ لَا فَرْق بَيْن رَسُول وَرَسُول وَلَوْ فُرِضَ أَنَّ اللَّه تَعَالَى بَعَثَ إِلَيْهِمْ كُلّ رَسُول فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُكَذِّبُونَ.

وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا"37"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " وَقَوْم نُوح لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُل " وَلَمْ يُبْعَث إِلَيْهِمْ إِلَّا نُوح فَقَطْ وَقَدْ لَبِثَ فِيهِمْ أَلْف سَنَة إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَيُحَذِّرهُمْ نِقَمه " فَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيل " وَلِهَذَا أَغْرَقَهُمْ اللَّه جَمِيعًا وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَمْ يَتْرُك مِنْ بَنِي آدَم عَلَى وَجْه الْأَرْض سِوَى أَصْحَاب السَّفِينَة فَقَطْ " وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَة " أَيْ عِبْرَة يَعْتَبِرُونَ بِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : " إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَة لِنَجْعَلهَا لَكُمْ تَذْكِرَة وَتَعِيهَا أُذُن وَاعِيَة" أَيْ وَأَبْقَيْنَا لَكُمْ مِنْ السُّفُن مَا تَرْكَبُونَ فِي لُجَج الْبِحَار لِتَذْكُرُوا نِعْمَة اللَّه عَلَيْكُمْ مِنْ إِنْجَائِكُمْ مِنْ الْغَرَق وَجَعَلَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّة مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ أَمْره[1].

وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا"38"

وَقَوْله تَعَالَى : " وَعَادًا وَثَمُود وَأَصْحَاب الرَّسّ " قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَام عَلَى قِصَّتَيْهِمَا فِي غَيْر مَا سُورَة كَسُورَةِ الْأَعْرَاف بِمَا أَغْنَى عَنْ الْإِعَادَة وَأَمَّا أَصْحَاب الرَّسّ فَقَالَ اِبْن جُرَيْج عَنْ اِبْن عَبَّاس هُمْ أَهْل قَرْيَة مِنْ قُرَى ثَمُود وَقَالَ اِبْن جُرَيْج : قَالَ عِكْرِمَة أَصْحَاب الرَّسّ بِفَلْج وَهُمْ أَصْحَاب يس وَقَالَ قَتَادَة فَلْج مِنْ قُرَى الْيَمَامَة وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم بِسَنَدِهِ عَنْ اِبْن عَبَّاس قَوْله : " وَأَصْحَاب الرَّسّ " قَالَ بِئْر بِأَذْرَبِيجَان : وَقَالَ الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِي بَكْر عَنْ عِكْرِمَة : الرَّسّ بِئْر رُسُّوا فِيهَا نَبِيّهمْ أَيْ دَفَنُوهُ فِيهَا وَقَالَ اِبْن إِسْحَاق عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ أَوَّل النَّاس يَدْخُل الْجَنَّة يَوْم الْقِيَامَة الْعَبْد الْأَسْوَد وَذَلِكَ أَنَّ اللَّه تَعَالَى بَعَثَ نَبِيًّا إِلَى أَهْل قَرْيَة فَلَمْ يُؤْمِن بِهِ مِنْ أَهْلهَا إِلَّا ذَلِكَ الْعَبْد الْأَسْوَد ثُمَّ إِنَّ أَهْل الْقَرْيَة عَدَوْا عَلَى النَّبِيّ فَحَفَرُوا لَهُ بِئْرًا فَأَلْقَوْهُ فِيهَا ثُمَّ أَطْبَقُوا عَلَيْهِ بِحَجَرٍ أَصَمّ قَالَ فَكَانَ ذَلِكَ الْعَبْد يَذْهَب فَيَحْتَطِب عَلَى ظَهْره ثُمَّ يَأْتِي بِحَطَبِهِ فَيَبِيعهُ وَيَشْتَرِي بِهِ طَعَامًا وَشَرَابًا ثُمَّ يَأْتِي بِهِ إِلَى تِلْكَ الْبِئْر فَيَرْفَع تِلْكَ الصَّخْرَة وَيُعِينهُ اللَّه تَعَالَى عَلَيْهَا فَيُدْلِي إِلَيْهِ طَعَامه وَشَرَابه ثُمَّ يَرُدّهَا كَمَا كَانَتْ قَالَ فَكَانَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّه أَنْ يَكُون ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ يَوْمًا يَحْتَطِب كَمَا كَانَ يَصْنَع فَجَمَعَ حَطَبه وَحَزَمَ حُزْمَته وَفَرَغَ مِنْهَا فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلهَا وَجَدَ سِنَة فَاضْطَجَعَ فَنَامَ فَضَرَبَ اللَّه عَلَى أُذُنه سَبْع سِنِينَ ثُمَّ إِنَّهُ هَبَّ فَتَمَطَّى فَتَحَوَّلَ لِشِقِّهِ الْآخَر فَاضْطَجَعَ فَضَرَبَ اللَّه عَلَى أُذُنه سَبْع سِنِينَ أُخْرَى ثُمَّ إِنَّهُ هَبَّ وَاحْتَمَلَ حُزْمَته وَلَا يَحْسَب إِلَّا أَنَّهُ نَامَ سَاعَة مِنْ نَهَار فَجَاءَ إِلَى الْقَرْيَة فَبَاعَ حُزْمَته ثُمَّ اِشْتَرَى طَعَامًا وَشَرَابًا كَمَا كَانَ يَصْنَع ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الْحُفِيرَة مَوْضِعهَا الَّذِي كَانَتْ فِيهِ فَالْتَمَسَهُ فَلَمْ يَجِدهُ وَكَانَ قَدْ بَدَا لِقَوْمِهِ فِيهِ بَدَاءٌ فَاسْتَخْرَجُوهُ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ قَالَ فَكَانَ نَبِيّهمْ يَسْأَلهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْأَسْوَد مَا فَعَلَ فَيَقُولُونَ لَهُ لَا نَدْرِي حَتَّى قَبَضَ اللَّه النَّبِيّ وَهَبَّ الْأَسْوَد مِنْ نَوْمَته بَعْد ذَلِكَ" فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَد لَأَوَّل مَنْ يَدْخُل الْجَنَّة " وَهَكَذَا رَوَاهُ اِبْن جَرِير عَنْ

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1357

اِبْن حُمَيْد عَنْ سَلَمَة عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب مُرْسَلًا وَفِيهِ غَرَابَة وَنَكَارَة وَلَعَلَّ فِيهِ إِدْرَاجًا وَاَللَّه أَعْلَم وَقَالَ اِبْن جَرِير : لَا يَجُوز أَنْ يُحْمَل هَؤُلَاءِ عَلَى أَنَّهُمْ أَصْحَاب الرَّسّ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي الْقُرْآن لِأَنَّ اللَّه أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ وَهَؤُلَاءِ آمَنُوا بِنَبِيِّهِمْ إِلَّا أَنْ يَكُون حَدَثَ لَهُمْ أَحْدَاث آمَنُوا بِالنَّبِيِّ بَعْد هَلَاك آبَائِهِمْ وَاَللَّه

أَعْلَم وَاخْتَارَ اِبْن جَرِير أَنَّ الْمُرَاد بِأَصْحَابِ الرَّسّ هُمْ أَصْحَاب الْأُخْدُود الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي سُورَة الْبُرُوج فَاَللَّه أَعْلَم وَقَوْله تَعَالَى : " وَقُرُونًا بَيْن ذَلِكَ كَثِيرًا " أَيْ وَأُمَمًا أَضْعَاف مَنْ ذُكِرَ أَهْلَكْنَاهُمْ كَثِيرَة.

وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا"39"

وَلِهَذَا قَالَ " وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَال " أَيْ بَيَّنَّا لَهُمْ الْحُجَج وَوَضَّحْنَا لَهُمْ الْأَدِلَّة كَمَا قَالَ قَتَادَة وَأَزَحْنَا الْأَعْذَار عَنْهُمْ " وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا" أَيْ أَهْلَكْنَا إِهْلَاكًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : " وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُون مِنْ بَعْد نُوح " وَالْقَرْن هُوَ الْأُمَّة مِنْ النَّاس كَقَوْلِهِ : " ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدهمْ قُرُونًا آخَرِينَ " وَعَدَّهُ بَعْضهمْ بِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَة وَقِيلَ بِمِائَةٍ وَقِيلَ بِثَمَانِينَ وَقِيلَ أَرْبَعِينَ وَقِيلَ غَيْر ذَلِكَ وَالْأَظْهَر أَنَّ الْقَرْن هُوَ الْأُمَّة الْمُتَعَاصِرُونَ فِي الزَّمَن الْوَاحِد وَإِذَا ذَهَبُوا وَخَلِفَهُمْ جِيل فَهُوَ قَرْن آخَر كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ " خَيْر الْقُرُون قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ " الْحَدِيث.

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا"40"

"وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَة الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَر السَّوْء" يَعْنِي قَرْيَة قَوْم لُوط وَهِيَ سَدُوم الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّه بِالْقَلْبِ وَبِالْمَطَرِ مِنْ الْحِجَارَة الَّتِي مِنْ سِجِّيل كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَر الْمُنْذَرِينَ " وَقَالَ : " وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " وَقَالَ تَعَالَى " وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيم " وَقَالَ : " وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِين " وَلِهَذَا قَالَ " أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا " أَيْ فَيَعْتَبِرُوا بِمَا حَلَّ بِأَهْلِهَا مِنْ الْعَذَاب وَالنَّكَال بِسَبَبِ تَكْذِيبهمْ بِالرَّسُولِ وَبِمُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِر اللَّه " بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا " يَعْنِي الْمَارِّينَ بِهَا مِنْ الْكُفَّار لَا يَعْتَبِرُونَ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا أَيْ مَعَادًا يَوْم الْقِيَامَة[1].

وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا"41"

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ اِسْتِهْزَاء الْمُشْرِكِينَ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ رَأَوْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَإِذَا رَآك الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَك إِلَّا هُزُوًا " الْآيَة يَعْنُونَ بِالْعَيْبِ وَالنَّقْص وَقَالَ هَهُنَا : " وَإِذَا رَأَوْك إِنْ يَتَّخِذُونَك إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّه رَسُولًا " أَيْ عَلَى سَبِيل التَّنَقُّص وَالِازْدِرَاء فَقَبَّحَهُمْ اللَّه كَمَا قَالَ "وَلَقَدْ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلك"

إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا"42"

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم, ص1358

وَقَوْله تَعَالَى : " إنْ كَادَ لَيُضِلّنَا عَنْ آلِهَتنَا " يَعْنُونَ أَنَّهُ كَادَ يُثْنِيهِمْ عَنْ عِبَادَة الْأَصْنَام لَوْلَا أَنْ صَبَرُوا وَتَجَلَّدُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا قَالَ اللَّه تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ وَمُتَهَدِّدًا " وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِين يَرَوْنَ الْعَذَاب" الْآيَة ثُمَّ قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُنَبِّهًا أَنَّ مَنْ كَتَبَ اللَّه عَلَيْهِ الشَّقَاوَة وَالضَّلَال فَإِنَّهُ لَا يَهْدِيه أَحَد إِلَّا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا"43"

أَرَأَيْت مَنْ اِتَّخَذَ إِلَهه هَوَاهُ " أَيْ مَهْمَا اِسْتَحْسَنَ مِنْ شَيْء وَرَآهُ حَسَنًا فِي هَوَى نَفْسه كَانَ دِينه وَمَذْهَبه كَمَا قَالَ تَعَالَى : " أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوء عَمَله فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّه يُضِلّ مَنْ يَشَاء " الْآيَة وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا " أَفَأَنْت تَكُون عَلَيْهِ وَكِيلًا " قَالَ اِبْن عَبَّاس كَانَ الرَّجُل فِي الْجَاهِلِيَّة يَعْبُد الْحَجَر الْأَبْيَض زَمَانًا فَإِذَا رَأَى غَيْره أَحْسَن مِنْهُ عَبَدَ الثَّانِي وَتَرَكَ الْأَوَّل.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا"44"

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : " أَمْ تَحْسَب أَنَّ أَكْثَرهمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ" الْآيَة أَيْ هُمْ أَسْوَأ حَالًا مِنْ الْأَنْعَام السَّارِحَة فَإِنَّ تِلْكَ تَفْعَل مَا خُلِقَتْ لَهُ وَهَؤُلَاءِ خُلِقُوا لِعِبَادَةِ اللَّه وَحْده لَا شَرِيك لَهُ فَلَمْ يَفْعَلُوا وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْره وَيُشْرِكُونَ بِهِ مَعَ قِيَام الْحُجَّة عَلَيْهِمْ وَإِرْسَال الرُّسُل إِلَيْهِمْ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا"45"

سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْس عَلَيْهِ دَلِيلًا " مِنْ هَهُنَا شَرَعَ سُبْحَانه وَتَعَالَى فِي بَيَان الْأَدِلَّة الدَّالَّة عَلَى وُجُوده وَقُدْرَته التَّامَّة عَلَى خَلْق الْأَشْيَاء الْمُخْتَلِفَة وَالْمُتَضَادَّة فَقَالَ تَعَالَى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبّك كَيْف مَدَّ الظِّلّ " ؟ قَالَ اِبْن عَبَّاس وَابْن عُمَر وَأَبُو الْعَالِيَة وَأَبُو مَالِك وَمَسْرُوق وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالنَّخَعِيّ وَالضَّحَّاك وَالْحَسَن وَقَتَادَة : هُوَ مَا بَيْن طُلُوع الْفَجْر إِلَى طُلُوع الشَّمْس " وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا " أَيْ دَائِمًا لَا يَزُول كَمَا قَالَ تَعَالَى : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّه عَلَيْكُمْ اللَّيْل سَرْمَدًا " الْآيَات وَقَوْله تَعَالَى : " ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْس عَلَيْهِ دَلِيلًا " أَيْ لَوْلَا أَنَّ الشَّمْس تَطْلُع عَلَيْهِ لَمَا عُرِفَ فَإِنَّ الضِّدّ لَا يُعْرَف إِلَّا بِضِدِّهِ . وَقَالَ قَتَادَة وَالسُّدِّيّ دَلِيلًا تَتْلُوهُ وَتَتْبَعهُ حَتَّى تَأْتِيَ عَلَيْهِ كُلّه.

قَوْله تَعَالَى : ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا"46"

وَقَوْله تَعَالَى " ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا " أَيْ الظِّلّ وَقِيلَ الشَّمْس " يَسِيرًا " أَيْ سَهْلًا قَالَ اِبْن عَبَّاس سَرِيعًا وَقَالَ مُجَاهِد خَفِيًّا وَقَالَ السُّدِّيّ قَبْضًا خَفِيًّا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْأَرْض ظِلّ إِلَّا تَحْت سَقْف أَوْ تَحْت شَجَرَة وَقَدْ أَظَلَّتْ الشَّمْس مَا فَوْقه وَقَالَ أَيُّوب بْن مُوسَى فِي الْآيَة " قَبْضًا يَسِيرًا " قَلِيلًا قَلِيلًا[1].

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا"47"

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، دار المعرفة،ص1359

وَقَوْله : " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْل لِبَاسًا " أَيْ يَلْبَس الْوُجُود وَيَغْشَاهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَاللَّيْل إِذَا يَغْشَى " " وَالنَّوْم سُبَاتًا " أَيْ قَاطِعًا لِلْحَرَكَةِ لِرَاحَةِ الْأَبْدَان فَإِنَّ الْأَعْضَاء وَالْجَوَارِح تَكِلّ مِنْ كَثْرَة الْحَرَكَة فِي الِانْتِشَار بِالنَّهَارِ فِي الْمَعَاش فَإِذَا جَاءَ اللَّيْل وَسَكَنَ سَكَنَتْ الْحَرَكَات فَاسْتَرَاحَتْ فَحَصَلَ النَّوْم الَّذِي فِيهِ رَاحَة الْبَدَن وَالرُّوح مَعًا " وَجَعَلَ النَّهَار نُشُورًا " أَيْ يَنْتَشِر النَّاس فِيهِ لِمَعَايِشِهِمْ وَمَكَاسِبهمْ وَأَسْبَابهمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَمِنْ رَحْمَته جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْل وَالنَّهَار لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْله " الْآيَة.

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا"48"

وَهَذَا أَيْضًا مِنْ قُدْرَته التَّامَّة وَسُلْطَانه الْعَظِيم وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى يُرْسِل الرِّيَاح مُبَشِّرَات أَيْ بِمَجِيءِ السَّحَاب بَعْدهَا وَالرِّيَاح أَنْوَاع فِي صِفَات كَثِيرَة مِنْ التَّسْخِير فَمِنْهَا مَا يُثِير السَّحَاب وَمِنْهَا مَا يَحْمِلهُ وَمِنْهَا مَا يَسُوقهُ وَمِنْهَا مَا يَكُون بَيْن يَدَيْ السَّحَاب مُبَشِّرًا وَمِنْهَا مَا يَكُون قَبْل ذَلِكَ تَقُمّ الْأَرْض وَمِنْهَا مَا يُلَقِّح السَّحَاب لِيُمْطِر وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاء مَاء طَهُورًا" أَيْ آلَة يُتَطَهَّر بِهَا كَالسَّحُورِ وَالْوَجُور وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا فَهَذَا أَصَحّ مَا يُقَال فِي ذَلِكَ وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ فَعُول بِمَعْنَى فَاعِل أَوْ أَنَّهُ مَبْنِيّ لِلْمُبَالَغَةِ وَالتَّعَدِّي فَعَلَى كُلّ مِنْهُمَا إِشْكَالَات مِنْ حَيْثُ اللُّغَة وَالْحُكْم لَيْسَ هَذَا مَوْضِع بَسْطهَا وَاَللَّه أَعْلَم وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبِي بِإِسْنَادِهِ إِلَى حُمَيْد الطَّوِيل عَنْ ثَابِت الْبُنَانِيّ قَالَ دَخَلْت مَعَ أَبِي الْعَالِيَة فِي يَوْم مَطِير وَطُرُق الْبَصْرَة قَذِرَة فَصَلَّى فَقُلْت لَهُ فَقَالَ : " وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاء مَاء طَهُورًا " قَالَ طَهَّرَهُ مَاء السَّمَاء وَقَالَ أَيْضًا حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَة حَدَّثَنَا وُهَيْب عَنْ دَاوُد عَنْ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب فِي هَذِهِ الْآيَة قَالَ : أَنْزَلَهُ اللَّه طَهُورًا لَا يُنَجِّسهُ شَيْء وَعَنْ أَبِي سَعِيد قَالَ : قِيلَ يَا رَسُول اللَّه أَنَتَوَضَّأُ مِنْ بِئْر بُضَاعَة وَهِيَ بِئْر يُلْقَى فِيهَا النَّتْن وَلُحُوم الْكِلَاب ؟ فَقَالَ : " إِنَّ الْمَاء طَهُور لَا يُنَجِّسهُ شَيْء " رَوَاهُ الشَّافِعِيّ وَأَحْمَد وَصَحَّحَهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَحَسَّنَهُ وَالنَّسَائِيّ وَرَوَى اِبْن أَبِي حَاتِم بِإِسْنَادِهِ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْعَث حَدَّثَنَا مُعْتَمِر سَمِعْت أَبِي يُحَدِّث عَنْ سَيَّار عَنْ خَالِد بْن يَزِيد قَالَ : كُنَّا عِنْد عَبْد الْمَلِك بْن مَرْوَان فَذَكَرُوا الْمَاء فَقَالَ خَالِد بْن يَزِيد : مِنْهُ مَاء مِنْ السَّمَاء وَمِنْهُ مَاء يُسْقِيه الْغَيْم مِنْ الْبَحْر فَيَذُبّهُ الرَّعْد وَالْبَرْق فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ الْبَحْر فَلَا يَكُون مِنْهُ نَبَات فَأَمَّا النَّبَات فَمِمَّا كَانَ مِنْ السَّمَاء وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَة قَالَ : مَا أَنْزَلَ اللَّه مِنْ السَّمَاء قَطْرَة إِلَّا أَنْبَتَ بِهَا فِي الْأَرْض عُشْبَة أَوْ فِي الْبَحْر لُؤْلُؤَة وَقَالَ غَيْره : فِي الْبَرّ بُرّ وَفِي الْبَحْر دُرّ.

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا"49"

وَقَوْله تَعَالَى : " لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَة مَيْتًا " أَيْ أَرْضًا قَدْ طَالَ اِنْتِظَارهَا لِلْغَيْثِ فَهِيَ هَامِدَة لَا نَبَات فِيهَا وَلَا شَيْء فَلَمَّا جَاءَهَا الْحَيَاء عَاشَتْ وَاكْتَسَتْ رُبَاهَا أَنْوَاع الْأَزَاهِير وَالْأَلْوَان كَمَا قَالَ تَعَالَى : " فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اِهْتَزَّتْ وَرَبَتْ " الْآيَة : " وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيّ كَثِيرًا " أَيْ وَلْيَشْرَبْ مِنْهُ الْحَيَوَان مِنْ أَنْعَام وَأَنَاسِيّ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ

غَايَة الْحَاجَة لِشُرْبِهِمْ وَزُرُوعهمْ وَثِمَارهمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّل الْغَيْث مِنْ بَعْد مَا قَنَطُوا " الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى : " فَانْظُرْ إِلَى آثَار رَحْمَة اللَّه كَيْف يُحْيِي الْأَرْض بَعْد مَوْتهَا " الْآيَة[1].

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا"50"

وَقَوْله تَعَالَى : " وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنهمْ لِيَذَّكَّرُوا " أَيْ أَمْطَرْنَا هَذِهِ الْأَرْض دُون هَذِهِ وَسُقْنَا السَّحَاب يَمُرّ عَلَى الْأَرْض وَيَتَعَدَّاهَا وَيَتَجَاوَزهَا إِلَى الْأَرْض الْأُخْرَى فَيُمْطِرهَا وَيَكْفِيهَا وَيَجْعَلهَا غَدَقًا وَالَّتِي وَرَاءَهَا لَمْ يَنْزِل فِيهَا قَطْرَة مِنْ مَاء وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْحُجَّة الْبَالِغَة وَالْحِكْمَة الْقَاطِعَة قَالَ اِبْن عَبَّاس وَابْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ لَيْسَ عَام بِأَكْثَر مَطَرًا مِنْ عَام وَلَكِنَّ اللَّه يُصَرِّفهُ كَيْف يَشَاء ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَة " وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنهمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَر النَّاس إِلَّا كُفُورًا " أَيْ لِيَذَّكَّرُوا بِإِحْيَاءِ اللَّه الْأَرْض الْمَيْتَة أَنَّهُ قَادِر عَلَى إِحْيَاء الْأَمْوَات وَالْعِظَام الرُّفَات أَوْ لِيَذَّكَّر مَنْ مُنِعَ الْمَطَر إِنَّمَا أَصَابَهُ ذَلِكَ بِذَنْبٍ أَصَابَهُ فَيُقْلِع عَمَّا هُوَ فِيهِ وَقَالَ عُمَر مَوْلَى عُقْبَة : كَانَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام فِي مَوْضِع الْجَنَائِز فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" يَا جِبْرِيل إِنِّي أُحِبّ أَنْ أَعْلَم أَمْر السَّحَاب " قَالَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيل يَا نَبِيّ اللَّه هَذَا مَلَك السَّحَاب فَسَلْهُ فَقَالَ تَأْتِينَا صِكَاك مُخْتَمَة : اِسْقِ بِلَاد كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا قَطْرَة رَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم وَهُوَ حَدِيث مُرْسَل وَقَوْله تَعَالَى : " فَأَبَى أَكْثَر النَّاس إِلَّا كُفُورًا " قَالَ عِكْرِمَة يَعْنِي الَّذِينَ يَقُولُونَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ عِكْرِمَة كَمَا صَحَّ فِي الْحَدِيث الْمُخَرَّج فِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمًا عَلَى أَثَر سَمَاء أَصَابَتْهُمْ مِنْ اللَّيْل " أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبّكُمْ ؟ " قَالُوا اللَّه وَرَسُوله أَعْلَم قَالَ " قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِن بِي وَكَافِر فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّه وَرَحْمَته فَذَاكَ مُؤْمِن بِي كَافِر بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَاكَ كَافِر بِي مُؤْمِن بِالْكَوْكَبِ."

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا"51"

يَقُول تَعَالَى : " وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلّ قَرْيَة نَذِيرًا " يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنَّا خَصَصْنَاك يَا مُحَمَّد بِالْبَعْثَةِ إِلَى جَمِيع أَهْل الْأَرْض وَأَمَرْنَاك أَنْ تُبَلِّغهُمْ هَذَا الْقُرْآن" لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ " " وَمَنْ يَكْفُر بِهِ مِنْ الْأَحْزَاب فَالنَّار مَوْعِده " " لِتُنْذِر أُمّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلهَا " " قُلْ يَا أَيّهَا النَّاس إِنِّي رَسُول اللَّه إِلَيْكُمْ جَمِيعًا" وَفِي الصَّحِيحَيْنِ " بُعِثْت إِلَى الْأَحْمَر وَالْأَسْوَد " وَفِيهِمَا" وَكَانَ النَّبِيّ يُبْعَث إِلَى قَوْمه خَاصَّة وَبُعِثْت إِلَى النَّاس عَامَّة. "

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1360

فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا"52"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " فَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ " يَعْنِي بِالْقُرْآنِ قَالَهُ اِبْن عَبَّاس : " جِهَادًا كَبِيرًا" كَمَا قَالَ تَعَالَى : " يَا أَيّهَا النَّبِيّ جَاهِدْ الْكُفَّار وَالْمُنَافِقِينَ[1].

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا"53"

وَقَوْله تَعَالَى " وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْب فُرَات وَهَذَا مِلْح أُجَاج " أَيْ خَلَقَ الْمَاءَيْنِ الْحُلْو وَالْمِلْح فَالْحُلْو كَالْأَنْهَارِ وَالْعُيُون وَالْآبَار وَهَذَا هُوَ الْبَحْر الْحُلْو الْعَذْب الْفُرَات الزُّلَال قَالَهُ اِبْن جُرَيْج وَاخْتَارَهُ اِبْن جَرِير وَهَذَا الْمَعْنَى لَا شَكّ فِيهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُود بَحْر سَاكِن وَهُوَ عَذْب فُرَات ; وَاَللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى إِنَّمَا أَخْبَرَ بِالْوَاقِعِ لِيُنَبِّه الْعِبَاد عَلَى نِعْمَة عَلَيْهِمْ لِيَشْكُرُوهُ فَالْبَحْر الْعَذْب هُوَ هَذَا السَّارِح بَيْن النَّاس فَرَّقَهُ اللَّه تَعَالَى بَيْن خَلْقه لِاحْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ أَنْهَارًا وَعُيُونًا فِي كُلّ أَرْض بِحَسَبِ حَاجَتهمْ وَكِفَايَتهمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَأَرَاضِيهِمْ وَقَوْله تَعَالَى : " وَهَذَا مِلْح أُجَاج" أَيْ مَالِح مُرّ زُعَاق لَا يُسْتَسَاغ وَذَلِكَ كَالْبِحَارِ الْمَعْرُوفَة فِي الْمَشَارِق وَالْمَغَارِب : الْبَحْر الْمُحِيط وَمَا يَتَّصِل بِهِ مِنْ الزُّقَاق وَبَحْر الْقُلْزُم وَبَحْر الْيَمَن وَبَحْر الْبَصْرَة وَبَحْر فَارِس وَبَحْر الصِّين وَالْهِنْد وَبَحْر الرُّوم وَبَحْر الْخَزَر وَمَا شَاكَلَهَا وَشَابَهَهَا مِنْ الْبِحَار السَّاكِنَة الَّتِي لَا تَجْرِي وَلَكِنْ تَمُوج وَتَضْطَرِب وَتَلْتَطِم فِي زَمَن الشِّتَاء وَشِدَّة الرِّيَاح وَمِنْهَا مَا فِيهِ مَدّ وَجَزْر فَفِي أَوَّل كُلّ شَهْر يَحْصُل مِنْهَا مَدّ وَفَيْض فَإِذَا شَرَعَ الشَّهْر فِي النُّقْصَان جَزَرَتْ حَتَّى تَرْجِع إِلَى غَايَتهَا الْأُولَى فَإِذَا اِسْتَهَلَّ الْهِلَال مِنْ الشَّهْر الْآخَر شَرَعَتْ فِي الْمَدّ إِلَى اللَّيْلَة الرَّابِعَة عَشْرَة ثُمَّ تَشْرَع فِي النَّقْص فَأَجْرَى اللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى – وَهُوَ ذُو الْقُدْرَة التَّامَّة – الْعَادَة بِذَلِكَ فَكُلّ هَذِهِ الْبِحَار السَّاكِنَة خَلَقَهَا اللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى مَالِحَة لِئَلَّا يَحْصُل بِسَبَبِهَا نَتْن الْهَوَاء فَيَفْسُد الْوُجُود بِذَلِكَ وَلِئَلَّا تَحْوَى الْأَرْض بِمَا يَمُوت فِيهَا مِنْ الْحَيَوَان وَلَمَّا كَانَ مَاؤُهَا مِلْحًا كَانَ هَوَاؤُهَا صَحِيحًا وَمَيْتَتهَا طَيِّبَة وَلِهَذَا قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَاء الْبَحْر أَنَتَوَضَّأُ بِهِ ؟ فَقَالَ : " هُوَ الطَّهُور مَاؤُهُ الْحِلّ مَيْتَته " رَوَاهُ الْأَئِمَّة مَالِك وَالشَّافِعِيّ وَأَحْمَد وَأَهْل السُّنَن بِإِسْنَادٍ جَيِّد وَقَوْله تَعَالَى : " وَجَعَلَ بَيْنهمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا" أَيْ بَيْن الْعَذْب وَالْمَالِح " بَرْزَخًا " أَيْ حَاجِزًا وَهُوَ الْيَبِس مِنْ الْأَرْض " وَحِجْرًا مَحْجُورًا " أَيْ مَانِعًا مِنْ أَنْ يَصِل أَحَدهمَا إِلَى الْآخَر كَقَوْلِهِ " مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنهمَا بَرْزَخ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبّكُمَا تُكَذِّبَانِ " وَقَوْله تَعَالَى : " أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْض قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْن الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَه مَعَ اللَّه بَلْ أَكْثَرهمْ لَا يَعْلَمُونَ. "

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا"54"

وَقَوْله تَعَالَى : " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاء بَشَرًا " الْآيَة أَيْ خَلَقَ الْإِنْسَان مِنْ نُطْفَة ضَعِيفَة فَسَوَّاهُ وَعَدَّلَهُ وَجَعَلَهُ كَامِل الْخِلْقَة ذَكَرًا وَأُنْثَى كَمَا يَشَاء " فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا " فَهُوَ فِي اِبْتِدَاء أَمْره وَلَد نَسِيب ثُمَّ يَتَزَوَّج فَيَصِير صِهْرًا يَصِير لَهُ أَصْهَار وَأَخْتَان وَقَرَابَات وَكُلّ ذَلِكَ مِنْ مَاء مَهِين وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " وَكَانَ رَبّك قَدِيرًا. "

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم،ص1361

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا"55"

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ جَهْل الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتهمْ غَيْر اللَّه مِنْ الْأَصْنَام الَّتِي لَا تَمْلِك لَهُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا بِلَا دَلِيل قَادَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَلَا حُجَّة أَدَّتْهُمْ إِلَيْهِ بَلْ بِمُجَرَّدِ الْآرَاء وَالتَّشَهِّي وَالْأَهْوَاء فَهُمْ يُوَالُونَهُمْ وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلهمْ وَيُعَادُونَ اللَّه وَرَسُوله وَالْمُؤْمِنِينَ فِيهِمْ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " وَكَانَ الْكَافِر عَلَى رَبّه ظَهِيرًا " أَيْ عَوْنًا فِي سَبِيل الشَّيْطَان عَلَى حِزْب اللَّه وَحِزْب اللَّه هُمْ الْغَالِبُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَاتَّخَذُوا مِنْ دُون اللَّه آلِهَة لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرهمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْد مُحْضَرُونَ" أَيْ آلِهَتهمْ الَّتِي اِتَّخَذُوهَا مِنْ دُون اللَّه لَا تَمْلِك لَهُمْ نَصْرًا وَهَؤُلَاءِ الْجَهَلَة لِلْأَصْنَامِ جُنْد مُحْضَرُونَ يُقَاتِلُونَ عَنْهُمْ وَيَذُبُّونَ عَنْ حَوْزَتهمْ وَلَكِنَّ الْعَاقِبَة وَالنُّصْرَة لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة قَالَ مُجَاهِد " وَكَانَ الْكَافِر عَلَى رَبّه ظَهِيرًا" قَالَ يُظَاهِر الشَّيْطَان عَلَى مَعْصِيَة اللَّه وَيُعِينهُ وَقَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر " وَكَانَ الْكَافِر عَلَى رَبّه ظَهِيرًا " يَقُول عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى رَبّه بِالْعَدَاوَةِ وَالشِّرْك وَقَالَ زَيْد بْن أَسْلَم " وَكَانَ الْكَافِر عَلَى رَبّه ظَهِيرًا " قَالَ مُوَالِيًا.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا"56"

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِ " وَمَا أَرْسَلْنَاك إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا " أَيْ بَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَنَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّه وَنَذِيرًا بَيْن يَدَيْ عَذَاب شَدِيد لِمَنْ خَالَفَ أَمْر اللَّه. [1]

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا"57"

"قُلْ مَا أَسْأَلكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر " أَيْ عَنْ هَذَا الْبَلَاغ وَهَذَا الْإِنْذَار مِنْ أُجْرَة أَطْلُبهَا مِنْ أَمْوَالكُمْ وَإِنَّمَا أَفْعَل ذَلِكَ اِبْتِغَاء وَجْه اللَّه تَعَالَى : " لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيم "" إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذ إِلَى رَبّه سَبِيلًا " أَيْ طَرِيقًا وَمَسْلَكًا وَمَنْهَجًا يَقْتَدِي فِيهَا بِمَا جِئْت بِهِ.

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا"58"

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيّ الَّذِي لَا يَمُوت " أَيْ فِي أُمُورك كُلّهَا كُنْ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّه الْحَيّ الَّذِي لَا يَمُوت أَبَدًا الَّذِي هُوَ " الْأَوَّل وَالْآخِر وَالظَّاهِر وَالْبَاطِن وَهُوَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيم " الدَّائِم الْبَاقِي السَّرْمَدِيّ الْأَبَدِيّ الْحَيّ الْقَيُّوم رَبّ كُلّ شَيْء وَمَلِيكه اِجْعَلْهُ ذُخْرك وَمَلْجَأك وَهُوَ الَّذِي يُتَوَكَّل عَلَيْهِ وَيُفْزَع إِلَيْهِ فَإِنَّهُ كَافِيك وَنَاصِرك وَمُؤَيِّدك وَمُظَفِّرك كَمَا قَالَ تَعَالَى : " يَا أَيّهَا الرَّسُول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْك مِنْ رَبّك وَإِنْ لَمْ تَفْعَل فَمَا بَلَّغْت رِسَالَته وَاَللَّه يَعْصِمك مِنْ النَّاس " وَرَوَى اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد بْن عَلِيّ بْن نُفَيْل قَالَ قَرَأْت عَلَى مَعْقِل يَعْنِي اِبْن عُبَيْد اللَّه عَنْ عَبْد اللَّه بْن أَبِي حُسَيْن عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب قَالَ : لَقِيَ سَلْمَان النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْض فِجَاج الْمَدِينَة فَسَجَدَ لَهُ فَقَالَ : " لَا تَسْجُد لِي يَا سَلْمَان وَاسْجُدْ لِلْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوت " وَهَذَا مُرْسَل حَسَن وَقَوْله تَعَالَى : " وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ " أَيْ اِقْرِنْ بَيْن حَمْده وَتَسْبِيحه وَلِهَذَا كَانَ رَسُول اللَّه

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1361

صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول " سُبْحَانك اللَّهُمَّ رَبّنَا وَبِحَمْدِك" أَيْ أَخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَة وَالتَّوَكُّل كَمَا قَالَ تَعَالَى : " رَبّ الْمَشْرِق وَالْمَغْرِب لَا إِلَه إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا " وَقَالَ تَعَالَى " فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ " وَقَالَ تَعَالَى : " قُلْ هُوَ الرَّحْمَن آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا" وَقَوْله تَعَالَى : " وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَاده خَبِيرًا " أَيْ بِعِلْمِهِ التَّامّ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَة وَلَا يَعْزُب عَنْهُ مِثْقَال ذَرَّة.

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا"59"

وَقَوْله تَعَالَى : " الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَات وَالْأَرْض " الْآيَة أَيْ هُوَ الْحَيّ الَّذِي لَا يَمُوت وَهُوَ خَالِق كُلّ شَيْء وَرَبّه وَمَلِيكه الَّذِي خَلَقَ بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانه السَّمَوَات السَّبْع فِي اِرْتِفَاعهَا وَاتِّسَاعهَا وَالْأَرْضِينَ السَّبْع فِي سُفُولهَا وَكَثَافَتهَا " فِي سِتَّة أَيَّام ثُمَّ اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْش" أَيْ يُدَبِّر الْأَمْر وَيَقْضِي الْحَقّ وَهُوَ خَيْر الْفَاصِلِينَ وَقَوْله : " ثُمَّ اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْش الرَّحْمَن فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا " أَيْ اِسْتَعْلِمْ عَنْهُ مَنْ هُوَ خَبِير بِهِ عَالِم بِهِ فَاتَّبِعْهُ وَاقْتَدِ بِهِ وَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ لَا أَحَد أَعْلَم بِاَللَّهِ وَلَا أَخْبَر بِهِ مِنْ عَبْده وَرَسُوله مُحَمَّد صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِ سَيِّد وَلَد آدَم عَلَى الْإِطْلَاق فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة الَّذِي لَا يَنْطِق عَنْ الْهَوَى " إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْي يُوحَى " فَمَا قَالَهُ فَهُوَ الْحَقّ وَمَا أَخْبَرَهُ بِهِ فَهُوَ الصِّدْق وَهُوَ الْإِمَام الْمُحَكَّم الَّذِي إِذَا تَنَازَعَ النَّاس فِي شَيْء وَجَبَ رَدّ نِزَاعهمْ إِلَيْهِ فَمَا وَافَقَ أَقْوَاله وَأَفْعَاله فَهُوَ الْحَقّ وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ مَرْدُود عَلَى قَائِله وَفَاعِله كَائِنًا مَنْ كَانَ قَالَ اللَّه تَعَالَى " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْء " الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى " وَمَا اِخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْء فَحُكْمه إِلَى اللَّه " وَقَالَ تَعَالَى : " وَتَمَّتْ كَلِمَة رَبّك صِدْقًا وَعَدْلًا " أَيْ صِدْقًا فِي الْإِخْبَار وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِر وَالنَّوَاهِي وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا " قَالَ مُجَاهِد فِي قَوْله : " فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا" قَالَ مَا أَخْبَرْتُك مِنْ شَيْء فَهُوَ كَمَا أَخْبَرْتُك وَكَذَا قَالَ اِبْن جُرَيْج وَقَالَ شِمْر بْن عَطِيَّة فِي قَوْله : "فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا "هَذَا الْقُرْآن خَبِير بِهِ [1]

.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا"60"

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِغَيْرِ اللَّه مِنْ الْأَصْنَام وَالْأَنْدَاد " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اُسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَن " أَيْ لَا نَعْرِف الرَّحْمَن وَكَانُوا يُنْكِرُونَ أَنْ يُسَمَّى اللَّه بِاسْمِهِ الرَّحْمَن كَمَا أَنْكَرُوا ذَلِكَ يَوْم الْحُدَيْبِيَة حِين قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْكَاتِبِ " اُكْتُبْ : بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم " فَقَالُوا لَا نَعْرِف الرَّحْمَن وَلَا الرَّحِيم وَلَكِنْ اُكْتُبْ كَمَا كُنْت تَكْتُب : بِاسْمِك اللَّهُمَّ وَلِهَذَا أَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى " قُلْ اُدْعُوا اللَّه أَوْ اُدْعُوا الرَّحْمَن أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى " أَيْ هُوَ اللَّه وَهُوَ الرَّحْمَن وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَة " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اُسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَن " أَيْ لَا نَعْرِفهُ وَلَا نُقِرّ بِهِ " أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرنَا " أَيْ لِمُجَرَّدِ قَوْلك " وَزَادَهُمْ نُفُورًا " فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّه الَّذِي هُوَ الرَّحْمَن الرَّحِيم وَيُفْرِدُونَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَيَسْجُدُونَ لَهُ وَقَدْ اِتَّفَقَ الْعُلَمَاء – رَحِمَهُمْ اللَّه – عَلَى أَنَّ

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1362

هَذِهِ السَّجْدَة الَّتِي فِي الْفُرْقَان مَشْرُوع السُّجُود عِنْدهَا لِقَارِئِهَا وَمُسْتَمِعهَا كَمَا هُوَ مُقَرَّر فِي مَوْضِعه وَاَللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى أَعْلَم.

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا"61"

يَقُول تَعَالَى مُمَجِّدًا نَفْسه وَمُعَظِّمًا عَلَى جَمِيل مَا خَلَقَ فِي السَّمَوَات مِنْ الْبُرُوج وَهِيَ الْكَوَاكِب الْعِظَام فِي قَوْل مُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَأَبِي صَالِح وَالْحَسَن وَقَتَادَة وَقِيلَ هِيَ قُصُور فِي السَّمَاء لِلْحَرْسِ يُرْوَى هَذَا عَنْ عَلِيّ وَابْن عَبَّاس وَمُحَمَّد بْن كَعْب وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ وَسُلَيْمَان بْن مِهْرَان الْأَعْمَش وَهُوَ رِوَايَة عَنْ أَبِي صَالِح أَيْضًا وَالْقَوْل الْأَوَّل أَظْهَر اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُون الْكَوَاكِب الْعِظَام هِيَ قُصُور لِلْحَرْسِ فَيَجْتَمِع الْقَوْلَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيح" الْآيَة وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا " وَهِيَ الشَّمْس الْمُنِيرَة الَّتِي هِيَ كَالسِّرَاجِ فِي الْوُجُود كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا " " وَقَمَرًا مُنِيرًا " أَيْ مُشْرِقًا مُضِيئًا بِنُورٍ آخَر مِنْ غَيْر نُور الشَّمْس كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْس ضِيَاء وَالْقَمَر نُورًا " وَقَالَ مُخْبِرًا عَنْ نُوح عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ"أَلَمْ تَرَوْا كَيْف خَلَقَ اللَّه سَبْع سَمَوَات طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَر فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْس سِرَاجًا[1].

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا"62"

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْل وَالنَّهَار خِلْفَة " أَيْ يَخْلُف كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا صَاحِبه يَتَعَاقَبَانِ لَا يَفْتُرَانِ إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا وَإِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ ذَاكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى" وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْس وَالْقَمَر دَائِبَيْنِ " الْآيَة وَقَالَ" يُغْشِي اللَّيْل النَّهَار يَطْلُبهُ حَثِيثًا " الْآيَة وَقَالَ" لَا الشَّمْس يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِك الْقَمَر " الْآيَة وَقَوْله تَعَالَى " لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا " أَيْ جَعَلَهُمَا يَتَعَاقَبَانِ تَوْقِيتًا لِعِبَادَةِ عِبَاده لَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ فَاتَهُ عَمَل فِي اللَّيْل اِسْتَدْرَكَهُ فِي النَّهَار وَمَنْ فَاتَهُ عَمَل فِي النَّهَار اِسْتَدْرَكَهُ فِي اللَّيْل وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيث الصَّحِيح " إِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُط يَده بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيء النَّهَار وَيَبْسُط يَده بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيء اللَّيْل " وَقَالَ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَة عَنْ الْحَسَن أَنَّ عُمَر بْن الْخَطَّاب أَطَالَ صَلَاة الضُّحَى فَقِيلَ لَهُ صَنَعْت الْيَوْم شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعهُ فَقَالَ : إِنَّهُ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ وِرْدِي شَيْء فَأَحْبَبْت أَنْ أُتِمّهُ أَوْ قَالَ أَقْضِيه وَتَلَا هَذِهِ الْآيَة" وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْل وَالنَّهَار خِلْفَة لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا " وَقَالَ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس فِي الْآيَة يَقُول مَنْ فَاتَهُ شَيْء مِنْ اللَّيْل أَنْ يَعْمَلهُ أَدْرَكَهُ بِالنَّهَارِ أَوْ مِنْ النَّهَار أَدْرَكَهُ بِاللَّيْلِ وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَة وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالْحَسَن وَقَالَ مُجَاهِد وَقَتَادَة خِلْفَة أَيْ مُخْتَلِفِينَ أَيْ هَذَا بِسَوَادِهِ وَهَذَا بِضِيَائِهِ.

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"63"

هَذِهِ صِفَات عِبَاد اللَّه الْمُؤْمِنِينَ " الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْض هَوْنًا" أَيْ بِسَكِينَةٍ وَوَقَار مِنْ غَيْر جَبْرِيَّة وَلَا اِسْتِكْبَار كَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْض مَرَحًا " الْآيَة فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ يَمْشُونَ مِنْ غَيْر اِسْتِكْبَار وَلَا مَرَح وَلَا أَشَر وَلَا

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1362.

بَطَر وَلَيْسَ الْمُرَاد أَنَّهُمْ يَمْشُونَ كَالْمَرْضَى تَصَنُّعًا وَرِيَاء فَقَدْ كَانَ سَيِّد وَلَد آدَم صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطّ مِنْ صَبَب وَكَأَنَّمَا الْأَرْض تُطْوَى لَهُ وَقَدْ كَرِهَ بَعْض السَّلَف الْمَشْي بِتَضَعُّفِ وَتَصَنُّع حَتَّى رُوِيَ عَنْ عُمَر أَنَّهُ رَأَى شَابًّا يَمْشِي رُوَيْدًا فَقَالَ مَا بَالك أَأَنْت مَرِيض ؟ قَالَ لَا يَا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ فَعَلَاهُ بِالدِّرَّةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْشِيَ بِقُوَّةٍ وَإِنَّمَا الْمُرَاد بِالْهَوْنِ هُنَا السَّكِينَة وَالْوَقَار كَمَا قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِذَا أَتَيْتُمْ الصَّلَاة فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَة فَمَا أَدْرَكْتُمْ مِنْهَا فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا " وَقَالَ عَبْد اللَّه بْن الْمُبَارَك عَنْ مَعْمَر عَنْ عُمَر بْن الْمُخْتَار عَنْ الْحَسَن الْبَصْرِيّ فِي قَوْله" وَعِبَاد الرَّحْمَن " الْآيَة قَالَ : إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَوْم ذُلِّل ذَلَّتْ مِنْهُمْ – وَاَللَّه – الْأَسْمَاع وَالْأَبْصَار وَالْجَوَارِح حَتَّى يَحْسَبهُمْ الْجَاهِل مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَض وَإِنَّهُمْ – وَاَللَّه – لَأَصِحَّاء وَلَكِنَّهُمْ دَخَلَهُمْ مِنْ الْخَوْف مَا لَمْ يَدْخُل غَيْرهمْ وَمَنَعَهُمْ مِنْ الدُّنْيَا عِلْمهمْ بِالْآخِرَةِ فَقَالُوا : الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَن أَمَا وَاَللَّه مَا أَحْزَنَهُمْ مَا أَحْزَنَ النَّاس وَلَا تَعَاظَمَ فِي نُفُوسهمْ شَيْء طَلَبُوا بِهِ الْجَنَّة وَلَكِنْ أَبْكَاهُمْ الْخَوْف مِنْ النَّار إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللَّه تُقَطَّع نَفْسه عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَات وَمَنْ لَمْ يَرَ لِلَّهِ نِعْمَة إِلَّا فِي مَطْعَم أَوْ مَشْرَب فَقَدْ قَلَّ عِلْمه وَحَضَرَ عَذَابه وَقَوْله تَعَالَى " وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا " أَيْ إِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمْ الْجَاهِل بِالْقَوْلِ السَّيِّئ لَمْ يُقَابِلُوهُمْ عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ بَلْ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ وَلَا يَقُولُونَ إِلَّا خَيْرًا كَمَا كَانَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزِيدهُ شِدَّة الْجَاهِل عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا وَكَمَا قَالَ تَعَالَى " وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْو أَعْرَضُوا عَنْهُ" الْآيَة وَرَوَى الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا أَسْوَد بْن عَامِر حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر عَنْ الْأَعْمَش عَنْ أَبِي خَالِد الْوَالِبِيّ عَنْ النُّعْمَان بْن مُقَرِّن الْمُزَنِيّ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَبَّ رَجُل رَجُلًا عِنْده فَجَعَلَ الْمَسْبُوب يَقُول : عَلَيْك السَّلَام فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَمَا إِنَّ مَلَكًا بَيْنكُمَا يَذُبّ عَنْك كُلَّمَا شَتَمَك هَذَا قَالَ لَهُ بَلْ أَنْتَ وَأَنْتَ أَحَقّ بِهِ وَإِذَا قُلْت لَهُ وَعَلَيْك السَّلَام قَالَ لَا بَلْ عَلَيْك وَأَنْتَ أَحَقّ بِهِ " إِسْنَاده حَسَن وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ وَقَالَ

مُجَاهِد " قَالُوا سَلَامًا " يَعْنِي قَالُوا سَدَادًا وَقَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر رُدُّوا مَعْرُوفًا مِنْ الْقَوْل وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ قَالُوا سَلَام عَلَيْكُمْ إِنْ جَهِلَ عَلَيْهِمْ حَلُمُوا يُصَاحِبُونَ عِبَاد اللَّه نَهَارهمْ بِمَا يَسْمَعُونَ[1].

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا"64"

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ لَيْلهمْ خَيْر لَيْل فَقَالَ تَعَالَى " وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا " أَيْ فِي طَاعَته وَعِبَادَته كَمَا قَالَ تَعَالَى "كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْل مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " وَقَوْله " تَتَجَافَى جُنُوبهمْ عَنْ الْمَضَاجِع " الْآيَة . وَقَالَ تَعَالَى " أَمَّنْ هُوَ قَانِت آنَاء اللَّيْل سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَر الْآخِرَة وَيَرْجُو رَحْمَة رَبّه " الْآيَة.

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا"65"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اِصْرِفْ عَنَّا عَذَاب جَهَنَّم إِنَّ عَذَابهَا كَانَ غَرَامًا " أَيْ مُلَازِمًا دَائِمًا كَمَا قَالَ الشَّاعِر : إِنْ يُعَذِّب يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْطِ ... جَزْلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَن فِي قَوْله " إِنَّ عَذَابهَا كَانَ غَرَامًا

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1363

"كُلّ شَيْء يُصِيب اِبْن آدَم وَيَزُول عَنْهُ فَلَيْسَ بِغَرَامٍ وَإِنَّمَا الْغَرَام اللَّازِم مَا دَامَتْ السَّمَوَات وَالْأَرْض وَكَذَا قَالَ سُلَيْمَان التَّيْمِيّ وَقَالَ مُحَمَّد بْن كَعْب " إِنَّ عَذَابهَا كَانَ غَرَامًا " يَعْنِي مَا نَعِمُوا فِي الدُّنْيَا إِنَّ اللَّه تَعَالَى سَأَلَ الْكُفَّار عَنْ النِّعْمَة فَلَمْ يَرُدُّوهَا إِلَيْهِ فَأَغْرَمهُمْ فَأَدْخَلَهُمْ النَّار " إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا " أَيْ بِئْسَ الْمَنْزِل مَنْظَرًا وَبِئْسَ الْمَقِيل مَقَامًا.

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا"66"

وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم عِنْد قَوْله " إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا " حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْحَسَن بْن الرَّبِيع حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَص عَنْ الْأَعْمَش عَنْ مَالِك بْن الْحَارِث قَالَ : قَالَ إِذَا طُرِحَ الرَّجُل فِي النَّار هَوَى فِيهَا إِذَا اِنْتَهَى إِلَى بَعْض أَبْوَابهَا قِيلَ لَهُ مَكَانك حَتَّى تُتْحِف قَالَ فَيُسْقَى كَأْسًا مِنْ سُمّ الْأَسَاوِد وَالْعَقَارِب قَالَ فَيَتَمَيَّز الْجِلْد عَلَى حِدَة وَالشَّعْر عَلَى حِدَة وَالْعَصَب عَلَى حِدَة وَالْعُرُوق عَلَى حِدَة وَقَالَ أَيْضًا حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْحَسَن بْن الرَّبِيع حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَص عَنْ الْأَعْمَش عَنْ مُجَاهِد عَنْ عُبَيْد بْن عُمَيْر قَالَ إِنَّ فِي النَّار لَجِبَابًا فِيهَا حَيَّات أَمْثَال الْبُخْت وَعَقَارِب أَمْثَال الْبِغَال الدُّهْم فَإِذَا قُذِفَ بِهِمْ فِي النَّار خَرَجَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَوْطَانهَا فَأَخَذَتْ بِشِفَاهِهِمْ وَأَبْشَارهمْ وَأَشْعَارهمْ فَكَشَطَتْ لُحُومهمْ إِلَى أَقْدَامهمْ فَإِذَا وَجَدَتْ حَرّ النَّار رَجَعَتْ . وَقَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا الْحَسَن بْن مُوسَى حَدَّثَنَا سَلَّام يَعْنِي اِبْن مِسْكِين عَنْ أَبِي طَلَال عَنْ أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " إِنَّ عَبْدًا فِي جَهَنَّم لَيُنَادِي أَلْف سَنَة يَا حَنَّان يَا مَنَّان فَيَقُول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيل اِذْهَبْ فَأْتِنِي بِعَبْدِي هَذَا فَيَنْطَلِق جِبْرِيل فَيَجِد أَهْل النَّار مُكِبِّينَ يَبْكُونَ فَيَرْجِع إِلَى رَبّه عَزَّ وَجَلَّ فَيُخْبِرهُ فَيَقُول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ اِئْتِنِي بِهِ فَإِنَّهُ فِي مَكَان كَذَا وَكَذَا فَيَجِيء بِهِ فَيُوقِفهُ عَلَى رَبّه عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُول لَهُ يَا عَبْدِي كَيْف وَجَدْت مَكَانك وَمَقِيلك ؟ فَيَقُول يَا رَبّ شَرّ مَكَان وَشَرّ مَقِيل فَيَقُول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوا عَبْدِي فَيَقُول يَا رَبّ مَا كُنْت أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتنِي مِنْهَا أَنْ تَرُدّنِي فِيهَا فَيَقُول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ دَعُوا عَبْدِي

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا"67"

وَقَوْله تَعَالَى " وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا " الْآيَة أَيْ لَيْسُوا بِمُبَذِّرِينَ فِي إِنْفَاقهمْ فَيَصْرِفُونَ فَوْق الْحَاجَة وَلَا بُخَلَاء عَلَى أَهْلِيهِمْ فَيُقَصِّرُونَ فِي حَقّهمْ فَلَا يَكْفُونَهُمْ بَلْ عَدْلًا خِيَارًا وَخَيْر الْأُمُور أَوْسَطهَا لَا هَذَا وَلَا هَذَا " وَكَانَ بَيْن ذَلِكَ قَوَامًا "كَمَا قَالَ تَعَالَى" وَلَا تَجْعَل يَدك مَغْلُولَة إِلَى عُنُقك وَلَا تَبْسُطهَا كُلّ الْبَسْط " الْآيَة وَقَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا عِصَام بْن خَالِد حَدَّثَنِي أَبُو بَكْر بْن عَبْد اللَّه بْن أَبِي تَمِيم الْغَسَّانِيّ عَنْ ضَمْرَة عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " مِنْ فِقْه الرَّجُل قَصْده فِي مَعِيشَته " وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ وَقَالَ الْإِمَام أَحْمَد أَيْضًا حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَة الْحَدَّاد حَدَّثَنَا مِسْكِين بْن عَبْد الْعَزِيز الْعَبْدِيّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم الْهَجَرِيّ عَنْ أَبِي الْأَحْوَص عَنْ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" مَا عَالَ مَنْ اِقْتَصَدَ " لَمْ يُخَرِّجُوهُ وَقَالَ الْحَافِظ أَبُو بَكْر الْبَزَّار حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن يَحْيَى حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن مَيْمُون حَدَّثَنَا سَعْد بْن حَكِيم عَنْ مُسْلِم بْن حَبِيب عَنْ بِلَال يَعْنِي الْعَبْسِيّ – عَنْ حُذَيْفَة قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَا أَحْسَن الْقَصْد فِي الْغِنَى وَمَا أَحْسَن

الْقَصْد فِي الْفَقْر وَمَا أَحْسَن الْقَصْد فِي الْعِبَادَة " ثُمَّ قَالَ لَا نَعْرِفهُ يُرْوَى إِلَّا مِنْ حَدِيث حُذَيْفَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ لَيْسَ فِي النَّفَقَة فِي سَبِيل اللَّه سَرَف وَقَالَ إِيَاس بْن مُعَاوِيَة : مَا جَاوَزْت بِهِ أَمْر اللَّه تَعَالَى فَهُوَ سَرَف وَقَالَ غَيْره السَّرَف النَّفَقَة فِي مَعْصِيَة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ[1].

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا"68"

قَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة حَدَّثَنَا الْأَعْمَش عَنْ شَقِيق عَنْ عَبْد اللَّه هُوَ اِبْن مَسْعُود قَالَ : سُئِلَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيّ الذَّنْب أَكْبَر ؟ قَالَ " أَنْ تَجْعَل لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَك " قَالَ ثُمَّ أَيّ ؟ قَالَ " أَنْ تَقْتُل وَلَدك خَشْيَة أَنْ يَطْعَم مَعَك " قَالَ ثُمَّ أَيّ ؟ قَالَ " أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِك " قَالَ عَبْد اللَّه وَأَنْزَلَ اللَّه تَصْدِيق ذَلِكَ " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَر " الْآيَة وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ هَنَّاد بْن السَّرِيّ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَة بِهِ وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ وَمُسْلِم مِنْ حَدِيث الْأَعْمَش وَمَنْصُور زَادَ الْبُخَارِيّ وَوَاصِل ثَلَاثَتهمْ عَنْ أَبِي وَائِل شَقِيق بْن سَلَمَة عَنْ أَبِي مَيْسَرَة عَمْرو بْن شُرَحْبِيل عَنْ اِبْن مَسْعُود بِهِ فَاَللَّه أَعْلَم وَلَفْظهمَا عَنْ اِبْن مَسْعُود قَالَ : قُلْت يَا رَسُول اللَّه أَيّ الذَّنْب أَعْظَم الْحَدِيث طَرِيق غَرِيب وَقَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إِسْحَاق الْأَهْوَازِيّ حَدَّثَنَا عَامِر بْن مُدْرِك حَدَّثَنَا السَّرِيّ يَعْنِي إِسْمَاعِيل حَدَّثَنَا الشَّعْبِيّ عَنْ مَسْرُوق قَالَ : قَالَ عَبْد اللَّه خَرَجَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَات يَوْم فَاتَّبَعْته فَجَلَسَ عَلَى نَشْز مِنْ الْأَرْض وَقَعَدْت أَسْفَل مِنْهُ وَوَجْهِي حِيَال رُكْبَتَيْهِ وَاغْتَنَمْت خَلْوَته وَقُلْت بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُول اللَّه أَيّ الذَّنْب أَكْبَر ؟ قَالَ " أَنْ تَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَك – قُلْت ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ " أَنْ تَقْتُل وَلَدك كَرَاهِيَة أَنْ يَطْعَم مَعَك " قُلْت ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ " أَنْ تُزَانِي حَلِيلَة جَارك " ثُمَّ قَرَأَ " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه" الْآيَة وَقَالَ النَّسَائِيّ حَدَّثَنَا قُتَيْبَة بْن سَعِيد حَدَّثَنَا جَرِير عَنْ مَنْصُور عَنْ هِلَال بْن يَسَاف عَنْ سَلَمَة بْن قَيْس قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّة الْوَدَاع " أَلَا إِنَّمَا هِيَ أَرْبَع " فَمَا أَنَا بِأَشَحّ عَلَيْهِنَّ مُنْذُ سَمِعْتهنَّ مِنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ; لَا تُشْرِكُوا بِاَللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْس الَّتِي حَرَّمَ اللَّه إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَسْرِقُوا " وَقَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الْمَدِينِيّ رَحِمَهُ اللَّه حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن فُضَيْل بْن غَزْوَان حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سَعِيد الْأَنْصَارِيّ سَمِعْت أَبَا طِيبَة الْكَلَاعِيّ سَمِعْت الْمِقْدَاد بْن الْأَسْوَد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يَقُول : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ " مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا ؟ " قَالُوا حَرَّمَهُ اللَّه وَرَسُوله فَهُوَ حَرَام إِلَى يَوْم الْقِيَامَة فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ " لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُل بِعَشْرِ نِسْوَة أَيْسَر عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَاره " قَالَ : " فَمَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَة ؟ " قَالُوا حَرَّمَهَا اللَّه وَرَسُوله فَهِيَ حَرَام قَالَ " لَأَنْ يَسْرِق الرَّجُل مِنْ عَشْرَة أَبْيَات أَيْسَر عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِق مِنْ بَيْت جَاره " وَقَالَ أَبُو بَكْر بْن أَبِي

الدُّنْيَا حَدَّثَنَا عَمَّار بْن نَصْر حَدَّثَنَا بَقِيَّة عَنْ أَبِي بَكْر بْن أَبِي مَرْيَم عَنْ الْهَيْثَم بْن مَالِك الطَّائِيّ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " مَا مِنْ ذَنْب بَعْد الشِّرْك أَعْظَم عِنْد اللَّه مِنْ نُطْفَة وَضَعَهَا رَجُل فِي رَحِم لَا يَحِلّ لَهُ " وَقَالَ اِبْن

[1]- عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم,ص1364.

جُرَيْج أَخْبَرَنِي يَعْلَى عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر أَنَّهُ سَمِعَ اِبْن عَبَّاس يُحَدِّث أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْل الشِّرْك قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا إِنَّ الَّذِي تَقُول وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَن لَوْ تُخْبِرنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَة فَنَزَلَتْ " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَر " الْآيَة وَنَزَلَتْ " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسهمْ " الْآيَة وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا اِبْن أَبِي عُمَر حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ عَمْرو عَنْ أَبِي فَاخِتَة قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ " إِنَّ اللَّه يَنْهَاك أَنْ تَعْبُد الْمَخْلُوق وَتَدَع الْخَالِق وَيَنْهَاك أَنْ تَقْتُل وَلَدك وَتَغْذُو كَلْبك وَيَنْهَاك أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارك " قَالَ سُفْيَان وَهُوَ قَوْله " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَر" الْآيَة وَقَوْله تَعَالَى " وَمَنْ يَفْعَل ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا" رُوِيَ عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو أَنَّهُ قَالَ : أَثَامًا : وَادٍ فِي جَهَنَّم وَقَالَ عِكْرِمَة " يَلْقَ أَثَامًا " أَوْدِيَة فِي جَهَنَّم يُعَذَّب فِيهَا الزُّنَاة وَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر وَمُجَاهِد وَقَالَ قَتَادَة " يَلْقَ أَثَامًا " نَكَالًا : كُنَّا نُحَدَّث أَنَّهُ وَادٍ فِي جَهَنَّم . وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ لُقْمَان كَانَ يَقُول : يَا بُنَيّ ; إِيَّاكَ وَالزِّنَا فَإِنَّ أَوَّله مَخَافَةٌ وَآخِرَهُ نَدَامَةٌ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ اِبْن جَرِير وَغَيْره عَنْ اِبْن أُمَامَة الْبَاهِلِيّ مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا أَنَّ غَيًّا وَأَثَامًا بِئْرَانِ فِي قَعْر جَهَنَّم . أَجَارَنَا اللَّه مِنْهُمَا بِمَنِّهِ وَكَرَمه وَقَالَ السُّدِّيّ " يَلْقَ أَثَامًا" جَزَاء وَهَذَا أَشْبَه بِظَاهِرِ الْآيَة وَبِهَذَا فَسَّرَهُ بِمَا بَعْده مُبْدَلًا مِنْهُ.

يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا"69"

وَهُوَ قَوْله تَعَالَى " يُضَاعَف لَهُ الْعَذَاب يَوْم الْقِيَامَة" أَيْ يُكَرَّر عَلَيْهِ وَيُغَلَّظ " وَيَخْلُد فِيهِ مُهَانًا " أَيْ حَقِيرًا ذَلِيلًا.

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"70"

وَقَوْله تَعَالَى " إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا" أَيْ جَزَاؤُهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَات الْقَبِيحَة مَا ذُكِرَ " إِلَّا مَنْ تَابَ " أَيْ فِي الدُّنْيَا إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَمِيع ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّه يَتُوب عَلَيْهِ وَفِي ذَلِكَ دَلَالَة عَلَى صِحَّة تَوْبَة الْقَاتِل وَلَا تَعَارُض بَيْن هَذِهِ وَبَيْن آيَة النِّسَاء " وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا" الْآيَة فَإِنَّ هَذِهِ وَإِنْ كَانَتْ مَدَنِيَّة إِلَّا أَنَّهَا مُطْلَقَة فَتُحْمَل عَلَى مَنْ لَمْ يَتُبْ لِأَنَّ هَذِهِ مُقَيَّدَة بِالتَّوْبَةِ ثُمَّ قَدْ قَالَ تَعَالَى " إِنَّ اللَّه لَا يَغْفِر أَنْ يُشْرَك بِهِ " الْآيَة قَدْ ثَبَتَتْ السُّنَّة الصَّحِيحَة عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِحَّةِ تَوْبَة الْقَاتِل كَمَا ذُكِرَ مُقَرَّرًا مِنْ قِصَّة الَّذِي قَتَلَ مِائَة رَجُل ثُمَّ تَابَ فَقَبِلَ اللَّه تَوْبَته وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الْأَحَادِيث وَقَوْله تَعَالَى " فَأُولَئِكَ يُبَدِّل اللَّه سَيِّئَاتهمْ حَسَنَات وَكَانَ اللَّه غَفُورًا رَحِيمًا " فِي مَعْنَى قَوْله " يُبَدِّل اللَّه سَيِّئَاتهمْ حَسَنَات " قَوْلَانِ أَحَدهمَا أَنَّهُمْ بُدِّلُوا مَكَان عَمَل السَّيِّئَات بِعَمَلِ الْحَسَنَات قَالَ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس فِي الْآيَة قَالَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ كَانُوا مِنْ قَبْل إِيمَانهمْ عَلَى السَّيِّئَات فَرَغِبَ اللَّه بِهِمْ عَنْ السَّيِّئَات فَحَوَّلَهُمْ إِلَى الْحَسَنَات فَأَبْدَلَهُمْ مَكَان السَّيِّئَات الْحَسَنَات وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِد عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّهُ كَانَ يُنْشِد عِنْد هَذِهِ الْآيَة : بُدِّلْنَ بَعْد حَرّه خَرِيفًا ... وَبَعْد طُول النَّفَس الْوَجِيفَا[1]

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص 1365

يَعْنِي تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْأَحْوَال إِلَى غَيْرهَا وَقَالَ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح هَذَا فِي الدُّنْيَا يَكُون الرَّجُل عَلَى صِفَة قَبِيحَة ثُمَّ يُبْدِلهُ اللَّه بِهَا خَيْرًا وَقَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر أَبْدَلَهُمْ اللَّه بِعِبَادَةِ الْأَوْثَان عِبَادَة الرَّحْمَن وَأَبْدَلَهُمْ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قِتَال الْمُشْرِكِينَ وَأَبْدَلَهُمْ بِنِكَاحِ الْمُشْرِكَات نِكَاح الْمُؤْمِنَات وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ أَبْدَلَهُمْ اللَّه بِالْعَمَلِ السَّيِّئ الْعَمَل الصَّالِح وَأَبْدَلَهُمْ بِالشِّرْكِ إِخْلَاصًا وَأَبْدَلَهُمْ بِالْفُجُورِ إِحْصَانًا وَبِالْكُفْرِ إِسْلَامًا وَهَذَا قَوْل أَبِي الْعَالِيَة وَقَتَادَة وَجَمَاعَة آخَرِينَ " وَالْقَوْل الثَّانِي " أَنَّ تِلْكَ السَّيِّئَات الْمَاضِيَة تَنْقَلِب بِنَفْسِ التَّوْبَة النَّصُوح حَسَنَات وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ مَا مَضَى نَدِمَ وَاسْتَرْجَعَ وَاسْتَغْفَرَ فَيَنْقَلِب الذَّنْب طَاعَة بِهَذَا الِاعْتِبَار فَيَوْم الْقِيَامَة وَإِنْ وَجَدَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَضُرّهُ وَيَنْقَلِب حَسَنَة فِي صَحِيفَته كَمَا ثَبَتَتْ السُّنَّة بِذَلِكَ وَصَحَّتْ بِهِ الْآثَار الْمَرْوِيَّة عَنْ السَّلَف رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ فَعَنْ أَبِي ذَرّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنِّي لَأَعْرِف آخِر أَهْل النَّار خُرُوجًا مِنْ النَّار وَآخِر أَهْل الْجَنَّة دُخُولًا إِلَى الْجَنَّة ; يُؤْتَى بِرَجُلٍ فَيَقُول نَحُّوا عَنْهُ كِبَار ذُنُوبه وَسَلُوهُ عَنْ صِغَارهَا قَالَ فَيُقَال لَهُ عَمِلْت يَوْم كَذَا : كَذَا وَكَذَا وَعَمِلْت يَوْم كَذَا : كَذَا وَكَذَا فَيَقُول نَعَمْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِر مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَيُقَال : فَإِنَّ لَك بِكُلِّ سَيِّئَة حَسَنَة فَيَقُول يَا رَبّ عَمِلْت أَشْيَاء لَا أَرَاهَا هَهُنَا " قَالَ فَضَحِكَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذه ; اِنْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِم وَقَالَ الْحَافِظ أَبُو الْقَاسِم الطَّبَرَانِيّ حَدَّثَنَا هَاشِم بْن يَزِيد حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنِي ضَمْضَم بْن زُرْعَة عَنْ شُرَيْح بْن عُبَيْد عَنْ أَبِي مَالِك الْأَشْعَرِيّ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِذَا نَامَ اِبْن آدَم قَالَ الْمَلَك لِلشَّيْطَانِ أَعْطِنِي صَحِيفَتَك فَيُعْطِيه إِيَّاهَا فَمَا وَجَدَ فِي صَحِيفَةٍ مِنْ حَسَنَةٍ مَحَا بِهَا عَشْر سَيِّئَات مِنْ صَحِيفَة الشَّيْطَان وَكَتَبَهُنَّ حَسَنَات فَإِذَا أَرَادَ أَحَدكُمْ أَنْ يَنَام فَلْيُكَبِّرْ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَة وَيَحْمَد أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَة وَيُسَبِّح ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَة فَتِلْكَ مِائَة " وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَة وَعَارِم قَالَا حَدَّثَنَا ثَابِت يَعْنِي اِبْن يَزِيد أَبُو زَيْد حَدَّثَنَا عَاصِم عَنْ أَبِي عُثْمَان عَنْ سَلْمَان قَالَ يُعْطَى الرَّجُل يَوْم الْقِيَامَة صَحِيفَته فَيَقْرَأ أَعْلَاهَا فَإِذَا سَيِّئَاته فَإِذَا كَادَ يَسُوء ظَنّه نَظَرَ فِي أَسْفَلهَا فَإِذَا حَسَنَاته ثُمَّ يَنْظُر فِي أَعْلَاهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ بُدِّلَتْ حَسَنَات وَقَالَ أَيْضًا حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا هِشَام بْن عَمَّار حَدَّثَنَا سَلْمَان بْن مُوسَى الزُّهْرِيّ أَبُو دَاوُد حَدَّثَنَا أَبُو الْعَنْبَس عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ : لَيَأْتِيَنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بِأُنَاسٍ يَوْم الْقِيَامَة رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ اِسْتَكْثَرُوا مِنْ السَّيِّئَات قِيلَ مَنْ هُمْ يَا أَبَا هُرَيْرَة ؟ قَالَ الَّذِينَ يُبَدِّل اللَّه سَيِّئَاتهمْ حَسَنَات وَقَالَ أَيْضًا حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه اِبْن أَبِي زِيَاد حَدَّثَنَا سَيَّار حَدَّثَنَا جَعْفَر حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَة عَنْ أَبِي الصَّيْف – قُلْت وَكَانَ مِنْ أَصْحَاب مُعَاذ بْن جَبَل – قَالَ : يَدْخُل أَهْل الْجَنَّة عَلَى أَرْبَعَة أَصْنَاف الْمُتَّقِينَ ثُمَّ الشَّاكِرِينَ ثُمَّ الْخَائِفِينَ ثُمَّ أَصْحَاب الْيَمِين قُلْت لِمَ سُمُّوا أَصْحَاب الْيَمِين ؟ قَالَ لِأَنَّهُمْ قَدْ عَمِلُوا بِالسَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَات فَأُعْطُوا كُتُبهمْ بِأَيْمَانِهِمْ فَقَرَءُوا سَيِّئَاتهمْ حَرْفًا حَرْفًا وَقَالُوا يَا رَبّنَا هَذِهِ سَيِّئَاتنَا فَأَيْنَ حَسَنَاتنَا ؟ فَعِنْد ذَلِكَ مَحَا اللَّه السَّيِّئَات وَجَعَلَهَا حَسَنَات فَعِنْد ذَلِكَ قَالُوا" هَاؤُمُ اِقْرَءُوا كِتَابِيَهْ " فَهُمْ أَكْثَر أَهْل الْجَنَّة وَقَالَ عَلِيّ بْن الْحُسَيْن زَيْن الْعَابِدِينَ " يُبَدِّل اللَّه سَيِّئَاتهمْ حَسَنَات " قَالَ فِي الْآخِرَة وَقَالَ مَكْحُول يَغْفِرهَا لَهُمْ فَيَجْعَلهَا حَسَنَات رَوَاهُمَا اِبْن أَبِي حَاتِم وَرَوَى اِبْن جَرِير عَنْ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب مِثْله قَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الْوَزِير الدِّمَشْقِيّ حَدَّثَنَا الْوَلِيد بْن مُسْلِم حَدَّثَنَا أَبُو جَابِر أَنَّهُ سَمِعَ مَكْحُولًا يُحَدِّث قَالَ : جَاءَ شَيْخ كَبِير هَرِم قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ فَقَالَ يَا

رَسُول اللَّه رَجُل غَدَرَ وَفَجَرَ وَلَمْ يَدَع حَاجَة وَلَا دَاجَة إِلَّا اِقْتَطَفَهَا بِيَمِينِهِ لَوْ قُسِّمَتْ خَطِيئَته بَيْن أَهْل الْأَرْض لَأَوْبَقَتْهُمْ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَة ؟ فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" أَأَسْلَمْت ؟ " فَقَالَ أَمَّا أَنَا فَأَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّه وَحْده لَا شَرِيك لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْده وَرَسُوله فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَإِنَّ اللَّه غَافِر لَك مَا كُنْت كَذَلِكَ وَمُبَدِّل سَيِّئَاتك حَسَنَات " فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي ؟ فَقَالَ " وَغَدَرَاتك وَفَجَرَاتك " فَوَلَّى الرَّجُل يُكَبِّر وَيُهَلِّل وَرَوَى الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي الْمُغِيرَة عَنْ صَفْوَان بْن عُمَر عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن جُبَيْر عَنْ أَبِي فَرْوَة أَنَّهُ أَتَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَرَأَيْت رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوب كُلّهَا وَلَمْ يَتْرُك حَاجَة وَلَا دَاجَة فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَة ؟ فَقَالَ " أَسْلَمْت ؟ " فَقَالَ نَعَمْ[1].

قَالَ " فَافْعَلْ الْخَيْرَات وَاتْرُكْ السَّيِّئَات فَيَجْعَلهَا اللَّه لَك خَيْرَات كُلّهَا " قَالَ وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي ؟ قَالَ " نَعَمْ " فَمَا زَالَ يُكَبِّر حَتَّى تَوَارَى وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ مِنْ طَرِيق أَبِي فَرْوَة الرَّهَاوِيّ عَنْ يَاسِين الزَّيَّات عَنْ أَبِي سَلَمَة الْحِمْصِيّ عَنْ يَحْيَى بْن جَابِر عَنْ سَلَمَة بْن نُفَيْل مَرْفُوعًا وَقَالَ أَيْضًا حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم اِبْن الْمُنْذِر حَدَّثَنَا عِيسَى بْن شُعَيْب بْن ثَوْبَان عَنْ فُلَيْح بْن عُبَيْد بْن أَبِي عُبَيْد الشَّمَّاس عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : جَاءَتْنِي اِمْرَأَة فَقَالَتْ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَة ؟ إِنِّي زَنَيْت وَوَلَدْت وَقَتَلْته فَقُلْت لَا وَلَا نِعْمَتْ الْعَيْن وَلَا كَرَامَة فَقَامَتْ وَهِيَ تَدْعُو بِالْحَسْرَةِ ثُمَّ صَلَّيْت مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْح فَقَصَصْت عَلَيْهِ مَا قَالَتْ الْمَرْأَة وَمَا قُلْت لَهَا فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " بِئْسَمَا قُلْت أَمَا كُنْت تَقْرَأ هَذِهِ الْآيَة ؟ " " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَر – إِلَى قَوْله – " إِلَّا مَنْ تَابَ " الْآيَة فَقَرَأْتهَا عَلَيْهَا فَخَرَّتْ سَاجِدَة وَقَالَتْ الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي مَخْرَجًا هَذَا حَدِيث غَرِيب مِنْ هَذَا الْوَجْه وَفِي رِجَاله مَنْ لَا يُعْرَف وَاَللَّه أَعْلَم . وَقَدْ رَوَاهُ اِبْن جَرِير مِنْ حَدِيث إِبْرَاهِيم بْن الْمُنْذِر الْحِزَامِيّ بِسَنَدِهِ بِنَحْوِهِ وَعِنْده فَخَرَجَتْ تَدْعُو بِالْحَسْرَةِ وَتَقُول يَا حَسْرَتَا أَخُلِقَ هَذَا الْحُسْن لِلنَّارِ ؟ وَعِنْده أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ مِنْ عِنْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْلُبهَا فِي جَمِيع دُور الْمَدِينَة فَلَمْ يَجِدهَا فَلَمَّا كَانَ مِنْ اللَّيْلَة الْمُقْبِلَة جَاءَتْهُ فَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ لَهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَّتْ سَاجِدَة وَقَالَتْ الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي مَخْرَجًا وَتَوْبَة مِمَّا عَمِلْت وَأَعْتَقَتْ جَارِيَة كَانَتْ مَعَهَا وَابْنَتهَا وَتَابَتْ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عُمُوم رَحْمَته بِعِبَادِهِ وَأَنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ تَابَ عَلَيْهِ مِنْ أَيّ ذَنْب كَانَ جَلِيلًا أَوْ حَقِيرًا كَبِيرًا أَوْ صَغِيرًا.

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا"71"

فَقَالَ تَعَالَى " وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوب إِلَى اللَّه مَتَابًا " أَيْ فَإِنَّ اللَّه يَقْبَل تَوْبَته كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَمَنْ يَعْمَل سُوءًا أَوْ يَظْلِم نَفْسه " الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى " أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّه هُوَ يَقْبَل التَّوْبَة عَنْ عِبَاده " الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسهمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَة اللَّه " الْآيَة أَيْ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ.

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا"72"

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1365

وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ صِفَات عِبَاد الرَّحْمَن أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ الزُّور قِيلَ هُوَ الشِّرْك وَعِبَادَة الْأَصْنَام وَقِيلَ الْكَذِب وَالْفِسْق وَالْكُفْر وَاللَّغْو وَالْبَاطِل وَقَالَ مُحَمَّد بْن الْحَنَفِيَّة هُوَ اللَّغْو وَالْغِنَاء وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَة وَطَاوُس وَابْن سِيرِينَ وَالضَّحَّاك وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَغَيْرهمْ هُوَ أَعْيَاد الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ عَمْرو بْن قَيْس هِيَ مَجَالِس السُّوء وَالْخَنَا وَقَالَ مَالِك عَنْ الزُّهْرِيّ : شُرْب الْخَمْر لَا يَحْضُرُونَهُ وَلَا يَرْغَبُونَ فِيهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيث " مَنْ كَانَ يُؤْمِن بِاَللَّهِ وَالْيَوْم الْآخِر فَلَا يَجْلِس عَلَى مَائِدَة يُدَار عَلَيْهَا الْخَمْر " وَقِيلَ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ تَعَالَى " لَا يَشْهَدُونَ الزُّور " أَيْ شَهَادَة الزُّور وَهِيَ الْكَذِب مُتَعَمِّدًا عَلَى غَيْره كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي بَكْرَة قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِر ؟ " ثَلَاثًا – قُلْنَا بَلَى يَا رَسُول اللَّه قَالَ " الشِّرْك بِاَللَّهِ وَعُقُوق الْوَالِدَيْنِ " وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ " أَلَا وَقَوْل الزُّور أَلَا وَشَهَادَة الزُّور " فَمَا زَالَ يُكَرِّرهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ وَالْأَظْهَر مِنْ السِّيَاق أَنَّ الْمُرَاد لَا يَشْهَدُونَ الزُّور أَيْ لَا يَحْضُرُونَهُ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى" وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا " أَيْ لَا يَحْضُرُونَ الزُّور وَإِذَا اِتَّفَقَ مُرُورهمْ بِهِ مَرُّوا وَلَمْ يَتَدَنَّسُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ وَلِهَذَا قَالَ " مَرُّوا كِرَامًا " وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الْأَشَجّ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَن الْعِجْلِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن مُسْلِم أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيم بْن مَيْسَرَة أَنَّ اِبْن مَسْعُود مَرَّ بِلَهْوٍ فَلَمْ يَقِف فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَقَدْ أَصْبَحَ اِبْن مَسْعُود وَأَمْسَى كَرِيمًا " وَحَدَّثَنَا الْحُسَيْن بْن مُحَمَّد بْن سَلَمَة النَّحْوِيّ ثَنَا حِبَّان أَنَا عَبْد اللَّه أَنَا مُحَمَّد بْن مُسْلِم أَخْبَرَنِي مَيْسَرَة قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ اِبْن مَسْعُود مَرَّ بِلَهْوٍ مُعْرِضًا فَلَمْ يَقِف فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَقَدْ أَصْبَحَ اِبْن مَسْعُود وَأَمْسَى كَرِيمًا " ثُمَّ تَلَا إِبْرَاهِيم بْن مَيْسَرَة " وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا[1]. "

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا"73"

وَقَوْله تَعَالَى " وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبّهمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا " وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ صِفَات الْمُؤْمِنِينَ " الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّه وَجِلَتْ قُلُوبهمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاته زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبّهمْ يَتَوَكَّلُونَ " بِخِلَافِ الْكَافِر فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ كَلَام اللَّه لَا يُؤَثِّر فِيهِ وَلَا يَتَغَيَّر عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ بَلْ يَبْقَى مُسْتَمِرًّا عَلَى كُفْره وَطُغْيَانه وَجَهْله وَضَلَاله كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَة فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُول أَيّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبهمْ مَرَض فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسهمْ" فَقَوْله " لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا " أَيْ بِخِلَافِ الْكَافِر الَّذِي إِذَا سَمِعَ آيَات اللَّه فَلَا تُؤَثِّر فِيهِ فَيَسْتَمِرّ عَلَى حَاله كَأَنْ لَمْ يَسْمَعهَا أَصَمّ أَعْمَى قَالَ مُجَاهِد قَوْله" لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا " قَالَ لَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُبْصِرُوا وَلَمْ يَفْقَهُوا شَيْئًا وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ : كَمْ مِنْ رَجُل يَقْرَؤُهَا وَيَخِرّ عَلَيْهَا أَصَمّ أَعْمَى وَقَالَ قَتَادَة قَوْله تَعَالَى " وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبّهمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا" يَقُول لَمْ يَصُمُّوا عَنْ الْحَقّ وَلَمْ يُعْمُوا فِيهِ فَهُمْ وَاَللَّه قَوْم عَقَلُوا عَنْ الْحَقّ وَانْتَفَعُوا بِمَا سَمِعُوا مِنْ كِتَابه وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أُسَيْد بْن عَاصِم حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن حُمْرَان ثَنَا اِبْن عَوْن قَالَ سَأَلْت الشَّعْبِيّ قُلْت الرَّجُل يَرَى الْقَوْم سُجُودًا وَلَمْ يَسْمَع مَا سَجَدُوا أَيَسْجُدُ مَعَهُمْ ؟ قَالَ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَة : يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَسْجُد مَعَهُمْ

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم ، ص 1366

لِأَنَّهُ لَمْ يَتَدَبَّر أَمْر السُّجُود وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُون إِمَّعَة بَلْ يَكُون عَلَى بَصِيرَة فِي أَمْره وَيَقِين وَاضِح بَيِّن وَقَوْله تَعَالَى" وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجنَا وَذُرِّيَّاتنَا قُرَّة أَعْيُن " يَعْنِي الَّذِينَ يَسْأَلُونَ اللَّه أَنْ يُخْرِج مِنْ أَصْلَابهمْ مِنْ ذُرِّيَّاتهمْ مَنْ يُطِيعهُ وَيَعْبُدهُ وَحْده لَا شَرِيك لَهُ قَالَ اِبْن عَبَّاس يَعْنُونَ مَنْ يَعْمَل بِطَاعَةِ اللَّه فَتَقَرّ بِهِ أَعْيُنهمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة قَالَ عِكْرِمَة : لَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ صَبَاحَة وَلَا جَمَالًا وَلَكِنْ أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا مُطِيعِينَ وَسُئِلَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ عَنْ هَذِهِ الْآيَة فَقَالَ أَنْ يَرَى اللَّه الْعَبْد الْمُسْلِم مِنْ زَوْجَته وَمِنْ أَخِيهِ وَمِنْ حَمِيمه طَاعَة اللَّه لَا وَاَللَّه لَا شَيْء أَقَرّ لِعَيْنِ الْمُسْلِم مِنْ أَنْ يَرَى وَلَدًا أَوْ وَلَد وَلَد أَوْ أَخًا وَحَمِيمًا مُطِيعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ اِبْن جُرَيْج فِي قَوْله " هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجنَا وَذُرِّيَّاتنَا قُرَّة أَعْيُن" قَالَ يَعْبُدُونَك فَيُحْسِنُونَ عِبَادَتك وَلَا يَجُرُّونَ عَلَيْنَا الْجَرَائِر وَقَالَ عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلَم : يَعْنِي يَسْأَلُونَ اللَّه تَعَالَى لِأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتهمْ أَنْ يَهْدِيهِمْ

لِلْإِسْلَامِ وَقَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا مَعْمَر بْن بِشْر حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن الْمُبَارَك أَخْبَرَنَا صَفْوَان بْن عَمْرو حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَن بْن جُبَيْر بْن نُفَيْر عَنْ أَبِيهِ قَالَ : جَلَسْنَا إِلَى الْمِقْدَاد بْن الْأَسْوَد يَوْمًا فَمَرَّ بِهِ رَجُل فَقَالَ طُوبَى لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَيَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَدِدْنَا أَنَّا رَأَيْنَا مَا رَأَيْت وَشَهِدْنَا مَا شَهِدْت فَاسْتَغْضَبَ الْمِقْدَاد فَجَعَلْت أَعْجَب لِأَنَّهُ مَا قَالَ إِلَّا خَيْرًا ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا يَحْمِل الرَّجُل عَلَى أَنْ يَتَمَنَّى مُحْضَرًا غَيَّبَهُ اللَّه عَنْهُ لَا يَدْرِي لَوْ شَهِدَهُ كَيْف يَكُون فِيهِ وَاَللَّه لَقَدْ حَضَرَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْوَامًا أَكَبَّهُمْ اللَّه عَلَى مَنَاخِرهمْ فِي جَهَنَّم لَمْ يُجِيبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ أَوَلَا تَحْمَدُونَ اللَّه إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُون أُمَّهَاتكُمْ لَا تَعْرِفُونَ إِلَّا رَبّكُمْ مُصَدِّقِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيّكُمْ قَدْ كُفِيتُمْ الْبَلَاء بِغَيْرِكُمْ ؟ لَقَدْ بَعَثَ اللَّه النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَشَرّ حَال بَعَثَ عَلَيْهَا نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاء فِي فَتْرَة جَاهِلِيَّة مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِينًا أَفْضَل مِنْ عِبَادَة الْأَوْثَان فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَّقَ بِهِ بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل وَفَرَّقَ بَيْن الْوَالِد وَوَلَده إِنْ كَانَ الرَّجُل لَيَرَى وَالِده وَوَلَده وَأَخَاهُ كَافِرًا وَقَدْ فَتَحَ اللَّه قُفْل قَلْبه لِلْإِيمَانِ يَعْلَم أَنَّهُ إِنْ هَلَكَ دَخَلَ النَّار فَلَا تَقَرّ عَيْنه وَهُوَ يَعْلَم أَنَّ حَبِيبه فِي النَّار[1].

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا"74"

وَأَنَّهَا الَّتِي قَالَ اللَّه تَعَالَى " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجنَا وَذُرِّيَّاتنَا قُرَّة أَعْيُن " وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ وَقَوْله تَعَالَى " وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " قَالَ اِبْن عَبَّاس وَالْحَسَن وَالسُّدِّيّ وَقَتَادَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس أَئِمَّة يُقْتَدَى بِنَا فِي الْخَيْر . وَقَالَ غَيْرهمْ هُدَاة مُهْتَدِينَ دُعَاة إِلَى الْخَيْر فَأَحَبُّوا أَنْ تَكُون عِبَادَتهمْ مُتَّصِلَة بِعِبَادَةِ أَوْلَادهمْ وَذُرِّيَّاتهمْ وَأَنْ يَكُون هُدَاهُمْ مُتَعَدِّيًا إِلَى غَيْرهمْ بِالنَّفْعِ وَذَلِكَ أَكْثَر ثَوَابًا وَأَحْسَن مَآبًا وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِذَا مَاتَ اِبْن آدَم اِنْقَطَعَ عَمَله إِلَّا مِنْ ثَلَاث : وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ أَوْ عِلْم يُنْتَفَع بِهِ مِنْ بَعْده أَوْ صَدَقَة جَارِيَة. "

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا"75"

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1367

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مِنْ أَوْصَاف عِبَاده الْمُؤْمِنِينَ مَا ذَكَرَ مِنْ الصِّفَات الْجَمِيلَة وَالْأَقْوَال وَالْأَفْعَال الْجَلِيلَة قَالَ بَعْد ذَلِكَ كُلّه " أُولَئِكَ " أَيْ الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ " يُجْزَوْنَ " يَوْم الْقِيَامَة " الْغُرْفَة" وَهِيَ الْجَنَّة قَالَ أَبُو جَعْفَر الْبَاقِر وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِارْتِفَاعِهَا " بِمَا صَبَرُوا " أَيْ عَلَى الْقِيَام بِذَلِكَ " وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا " أَيْ فِي الْجَنَّة " تَحِيَّة وَسَلَامًا " أَيْ يُبْتَدَرُونَ فِيهَا بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَام وَيَلْقَوْنَ التَّوْقِير وَالِاحْتِرَام فَلَهُمْ السَّلَام وَعَلَيْهِمْ السَّلَام فَإِنَّ الْمَلَائِكَة يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلّ بَاب سَلَام عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار.

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا"76"

وَقَوْله تَعَالَى" خَالِدِينَ فِيهَا " أَيْ مُقِيمِينَ لَا يَظْعَنُونَ وَلَا يُحَوَّلُونَ وَلَا يَمُوتُونَ وَلَا يَزُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَات وَالْأَرْض " الْآيَة وَقَوْله تَعَالَى " حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا " أَيْ حَسُنَتْ مَنْظَرًا وَطَابَتْ مَقِيلًا وَمَنْزِلًا.

قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا"77"

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى " قُلْ مَا يَعْبَأ بِكُمْ رَبِّي " أَيْ لَا يُبَالِي وَلَا يَكْتَرِث بِكُمْ إِذَا لَمْ تَعْبُدُوهُ فَإِنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْق لِيَعْبُدُوهُ وَيُوَحِّدُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ بُكْرَة وَأَصِيلًا قَالَ مُجَاهِد وَعَمْرو بْن شُعَيْب" مَا يَعْبَأ بِكُمْ رَبِّي " يَقُول مَا يَفْعَل بِكُمْ رَبِّي وَقَالَ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس فِي قَوْله " قَالَ مَا يَعْبَأ بِكُمْ رَبِّي " الْآيَة يَقُول لَوْلَا إِيمَانكُمْ وَأَخْبَرَ تَعَالَى الْكُفَّار أَنَّهُ لَا حَاجَة لَهُ بِهِمْ إِذْ لَمْ يَخْلُقهُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَوْ كَانَ لَهُ بِهِمْ حَاجَة لَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ الْإِيمَان كَمَا حَبَّبَهُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْله تَعَالَى " فَقَدْ كَذَّبْتُمْ " أَيّهَا الْكَافِرُونَ " فَسَوْفَ يَكُون لِزَامًا " أَيْ فَسَوْفَ يَكُون تَكْذِيبكُمْ لِزَامًا لَكُمْ يَعْنِي مُقْتَضِيًا لِعَذَابِكُمْ وَهَلَاككُمْ وَدَمَارِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَيَدْخُل فِي ذَلِكَ يَوْم بَدْر كَمَا فَسَّرَهُ بِذَلِكَ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود وَأُبَيّ بْن كَعْب وَمُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ وَمُجَاهِد وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ " فَسَوْفَ يَكُون لِزَامًا " أَيْ يَوْم الْقِيَامَة وَلَا مُنَافَاة بَيْنهمَا . آخِر تَفْسِير سُورَة الْفُرْقَان وَلِلَّهِ الْحَمْد وَالْمِنَّة[1].

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم, ص1370.

الفصل الاول : أحكام النون والميم الساكنتين

المبحث الاول : أحكام النون

-الإظهار.

-الإدغام.

-الإقلاب.

-الإخفاء.

-دلالة استخدام النون الساكنة.

المبحث الثاني : أحكام الميم الساكنة

- الإدغام الشفوي

- الإخفاء الشفوي

- الإظهار الشفوي

- دلالة استخدام أحكام الميم الساكنة

تمهيد :

مما لاشك فيه أن هناك تشكيلا فونيمي في النص القراني ونحن اقتصرنا على التشكيل الفونيمي للنون والميم الساكنتين في سورة الفرقان ، وقد تطرقنا في هذا الفصل الى تعريف النون الساكنة التي هي نون خالية من الحركة تلحق بالأسماء والأفعال والحروف ، أما التنوين فهو نون ساكنة زائدة تلحق اخر الأسماء لفظا ، وللنون الساكنة والتنوين أحكام تتمثل في الاظهار والادغام والاقلاب والاخفاء ،،كما تناولنا الميم الساكنة وهي ما كان سكونها في حالتي الوصل والوقف في الاسم والفعل والحرف ولها أحكام تتمثل في الاظهار الشفوي والادغام الشفوي واخفاء شفوي ،كما كان لزاما علينا أن نعرف دلالة استخدام هذه الأحكام في سورة الفرقان ، فلكل سورة ولكل حكم دلالة خاصة به.

المبحث الأول : النون الساكنة : هي النون التي لا حركة لها بل خالية من الحركات الثلاث , التي هي الفتحة والكسرة والضمة وتكون في الاسماء والافعال والحروف , وتكون متوسطة ومتطرفة مثل المنخنقة, ينحتون, من.

أما التنوين هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسماء لفظا وتفارقه خطا ووقفا لغير توكيد

وهي عبارة عن فتحتين أو كسرتين أو ضمتين مثل قرأت كتابا , أعجبت بكتاب , هذا كتاب [1]

-وعرفها عاشور الخضري على أنها نون مجزومة تثبت لفظا وخطا وصلا ووقفا وتكون

في الاسم والفعل والحرف وتكون متوسطة أو متطرفة .

أما التنوين فهو نون ساكنة زائدة لغير توكيد تلحق آخر الاسم لفظا في الوصل لا خطا ولا وقفا[2].

-نستنتج من التعريفين السابقين أن النون الساكنة خالية من الحركة فالسكون ضد الحركة وتكون في الأسماء والأفعال والحروف , أما التنوين فهو نون ساكنة تلحقها العرب بالأسماء أي أقصى الأفعال والحروف ويكون لفظا لا كتابة وتنطق عند الوصل لا الوقف .

ولنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام حيث يقول الجمزوري في تحفة الأطفال :

[1] محمود بن رأفت بن زلط, أحكام التجويد والتلاوة, مؤسسة قرطبة , مدينة الأندلس,ط1, 1428ه/2006م,ص16
[2] عاشور خضراوي الحسني , أحكام التجويد, مكتبة الرضوان ,مصر , د ط , د ت ,ص 31.

للنون أن تسكن وللتنوين أربع أحكام فخذ تبييني[1]

1-الاظهار:

- **لغة** : هو البيان والوضوح منه قولهم أظهر الشيء أي أبانه .

-**اصطلاحا** : هو اخراج الحرف من مخرجه وابقائه على حاله , أو هو النطق بالحرف ظاهرا من غير ادغام ولا اخفاء في الحرف المظهر ولذلك جاء بعد النون أحد الحروف الحلقية الستة ,

-**حروفه:** هي الهمزة والهاء و العين والحاء والغين والخاء مجموعة في قولهم , أخي هاك علما حازه غير خاسر .

تقع النون الساكنة مع حروف الاظهار في كلمة واحدة أو في كلمتين ,أما التنوين مع حروف الاظهار فلا يكون الا في كلمتين .[2]

-يعرف أيضا محمد الصادق قمحاوي الاظهار بأنه اخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر وحروفه هي : الهمزة والعين والحاء والغين والخاء .[3]

-اذن فالإظهار هو اخراج الحرف من مخرجه من غير غنة ظاهرة فيه مع اعطاء الحرف حقه ومستحقه , وحروفه مجموعة في أوائل الكلمات من قوله أخي هاك علما حازه غير خاسر .

قال الجمزوري : فالأول الاظهار قبل أحرف للحلق ست رتبت فلتعريف.

همز فالهاء ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء .

-ومن أمثلة الاظهار في سورة الفرقان :

1- في كلمتين : من أوليآء , من عمل .

2-في كلمة : أنعاما .

3-التنوين : يومئذ خير.

[1] سليمان بن حسين الجمزوري ,متن تحفة الأطفال , دار المعاصرة الجديدة, د ط ,د ت ,ص 2
[2] عبد الكريم مقيدش , مذكرة في أحكام الترتيل , دار المحسن , الجزائر , ط.1 , 1431ه/2010م, ص58.
[3] محمد الصادق قمحاوي , البرهان في تجويد القرآن ,المكتبة الثقافية , بيروت , لبنان , د ط, د ت ,ص08

2-الادغام :

- لغة : هو ادخال شيء في شيء .

- اصطلاحا : هو ادخال حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عنده ارتفاعة واحدة وذلك اذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروفه الستة المجموعة في لفظ **يرملون** .

ينقسم الادغام الى قسمين :

-ادغام بغنة ويسمى ناقصا حروفه هي الياء والواو و الميم والنون يجمعها لفظ **يومن** .

-ادغام بلا غنة ويسمى كاملا وحروفه هي اللام والراء .

-والغنة صوت لذيذ يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه [1].

الادغام يكون في كلمتين لا كلمة واحدة فاذا جاء في كلمة واحدة وجب الاظهار خوفا من الالتباس بالضعف مثل: دنيا , قنوان , صنوان , بنيان .

هناك من العلماء من يقول أن يكونا مدغمتين وذلك في خمسة أ حرف يجمعها قولك **لم يرو** , **قال أبو عمرو** القراء يزيدون حرفا سادسا هو النون نحو من نور , يومئذ ناعمة , ولا معنى لذكرها معهن لأنها اذا التقت بمثلها لم يكن غير ادغامها , انما أدغمت النون والتنوين في هذه الحروف للقرب الذي بينهما وبينهن والتشاكل والمشابهة , فالإدغام في الراء واللام لقرب مخرجهما من مخرجهما على طرف اللسان وقد قيل أنهن من مخرج واحد , وأدغما في الميم للمشاركة التي بينهما وبينهما في الغنة حتى كأنك تسمع النون كالميم والميم كالنون لنداوة صوتهما وأدغما في الواو للمؤاخاة التي بين الواو والميم في المخرج اذا كانا يخرجان من بين الشفتين وأيضا فان المد الذي في الواو بمثابة الغنة التي في الميم , وأدغما في الياء لمؤاخاتها الواو في المد واللين ولقربها أيضا من الراء ولأنه ليس يخرج من طرف اللسان أقرب الى الراء من الياء وذلك يجعل الألثغ الراء ياء , قال أبو عمرو : فأما الراء واللام فدغم النون والتنوين فيهما بغير غنة هذا المأخوذ به في الأداء , فينقلبا من جنسهما قلبا صحيحا ويدغما ادغاما تاما ويصير مخرجهما من مخرجهما وكذلك باب الادغام ,أما الياء والواو فيدغمان فيهما وتبقى غنتهما , هذا مذهب الجماعة من القراء غير حمزة فانه اختلف عنه في ذلك واذا بقيت غنتهما لم ينقلبا قلبا صحيحا ولا أدغما ادغاما تاما ,

[1] عاشور الخضري الحسني , أحكام التجويد , ص33

وانما يتمكن ذلك فيهما اذا ذهبت تلك الغنة بالقلب الصحيح ,قال لي فارس بن أحمد شيخنا, قال لنا عبد الباقي بن الحسن المقرىء : والغنة اذا ثبتت في الوصل لم يشدد الحرف , ولفظ به بتشديد يسير واذا حذفت الغنة شدد الحرف .[1]

–أسباب الادغام : والادغام يكون بسبب التماثل أو التجانس أو التقارب .

أ– بسبب التماثل : الحرفين المتماثلين هما اللذان اتفقا مخرجا وصفة ,كالباءين والميمين ...ويكون الأول منهما ساكنا وليس بحرف مد , والثاني متحركا , نحو قوله تعالى : "اضرب بعصاك "البقرة 59.

حكم ادغامه : الوجوب عند جميع القراء , سواء في كلمة أو كلمتين , الا اذا كان الحرف الأول منهما هاء سكت وذلك في لفظ "ماليه" من قوله تعالى :" ماليه هلك" الحاقة 28,29 .ففيها وجهان الادغام والاظهار , والاظهار يكون مع السكت وهو المقدم , وهذان الوجهان جائزان في حال الوصل .

أو كان أول المثلين حرف مد :كالواو المدية في الواو المتحركة نحو قوله تعالى : "اصبروا وصابروا" آل عمران 200,والياء المدية في الياء المتحركة نحو قوله تعالى : "الذي يوسوس "الناس 5 .

يقول ابن بري رحمه الله : وساكن المثلين ان تقدما وكان غير حرف مد أدغما.

ب–بسبب التجانس : الحرفين المتجانسين هما الحرفان اللذان اتفقا مخرجا واختلفا في بعض الصفات ,كالدال والتاء نحو قوله تعالى : "قد تبين" .

– ما أدغمه ورش بسبب التجانس : ليس كل حرفين متجانسين أو متقاربين يدغمان بالضرورة , وانما يدغم فقطما نص عليه رواية , وما أدغمه ورش كالتالي :

*ادغام التاء في الدال ادغام كامل نحو قوله تعالى : "وقالت طآئفة "تقرأ "وقالطآئفة" .آل عمران71 .

*ادغام الدال في التاء ادغام كامل نحو قوله تعالى : "قد تبين" تقرأ "قتبين".البقرة255.

*ادغام الذال في الظاء ادغام كامل نحو قوله تعالى: "اذ ظلموا" تقرأ "اظلموا ".النساء 63 .

*ادغام الثاء في الذال نحو قوله تعالى : "يلهث ذلك" الأعراف 76.

[1] أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي, التحديد في الاتقان والتجويد ,تح : غانم قدوري الحمد , دار عمار , عمان ,ط 1 ,1421ه ,2000م, ص111.

*ادغام الباء في الميم في موضعين قال تعالى : "ويعذب من يشاء" البقرة 284 ,"اركب معنا" هود 42.

*ادغام الطاء في التاء ادغاما ناقصا, لان الطاء أدغمت في التاء ذاتا فقط لا صفة نحو قوله تعالى :" فرطتم " تقرأ "فرطتم " النمل 22, وكيفية ضبط هذا الادغام : المحافظة على سكون الطاء ,واظهار صفة الاطباق وترك القلقلة ولا يتحقق هذا الا بالمشافهة والسماع من الشيوخ المتقنين .[1]

ج–بسبب التقارب : هما الحرفان اللذان تقاربا مخرجا وصفة ويكون الأول منهما ساكنا والثاني متحركا .

– ما أدغمه ورش بسبب التقارب :

*ادغام اللام في الراء ادغاما كاملا نحو قوله تعالى : "وقل رب" تقرأ "وقرب" طه 11.

*ادغام الدال في الضاد والظاء ادغاما كاملا نحو قوله تعالى :"فقد ضل " تقرأ فقضل "النساء 115.

"لقد ظلمك" تقرأ لقظلمك" ص23.

*ادغام الذال في التاء ادغاما كاملا في لفظ الأخذ والاتخاذ وما أشتق منهما نحو قوله تعالى : "قل اتخذتم "تقرأ "اتختم" البقرة 59 .

*ادغام التاء في الظاد ادغاما كاملا نحو قوله تعالى : "كانت ظالمة" تقرأ "كانظالمة " الانبياء 12

*ادغام القاف في الكاف نحو قوله تعالى "ألم نخلقكم" المرسلات 20, له فيها وجهان :

– الادغام الكامل : ادغام القاف في الكاف ذاتا وصفة , فتلفظ لاما مضمومة بعدها كاف مضمومة مشددة كما يلي : "ألم نخلقكم " تقرأ "ألم نخلكم " .

– الادغام الناقص : لبقاء صفة الاستعلاء في حرف القاف ,"ألم نخلقكم "تقرأ "ألم نخلكم , والادغام الكامل هو المقدم في الاداء .

–كيفية ضبط هذا الادغام : المحافظة على سكون القاف , مع اظهار صفة الاستعلاء من غير قلقلة أيضا , ولا يكون ذلك الا عن طريق المشافهة والسماع من افواه الشيوخ المتقنين

[1] عبد الكريم أحمد حمادوش ,عبد الحفيظ بن طاهر هلال, أنوار المطالع في أصول رواية ورش عن نافع ,دار الامام مالك ,البليدة ,الجزائر, ط4 , ص96 .

* ادغام النون من هجاء (ن) من قوله تعالى :"ن والقلم" القلم 1 , بخلاف عنه وفي هذا القول قال ابن بري رحمه الله وعنه نون نون مع ياسين اظهر وخلف ورشهم بنونا .

* ادغام النون في الميم من هجاء " طسم " الشعراء 1 .

* ادغام النون الساكنة والتنوين في أحرف يرملو .[1]

يكون الادغام بغنة في حرف الياء والميم والواو ومثاله قوله تعالى: "ومن يعمل " تقرأ " وميعمل " وهو ادغام ناقص لبقاء صفة الحرف المدغم وهي الغنة .[2]

*يتبين لنا أن الادغام هو ادخال حرف ساكن في حرف متحرك اذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الادغام تجمع في كلمة "يرملون " وتنقسم الى قسمين ادغام بغنة وادغام بغير غنة فالأول حروفه مجموعة في كلمة "ينمو " والثاني حروفه "اللام" و"الراء" ويكون في كلمتين وهناك حالات لا تدغم النون وهي : "صنوان , قنوان , بنيان , دنيا ", قال الجمزوري في تحفة الاطفال :

والثاني ادغام بستة أتت في يرملون عندهم قد ثبتت

لكنها قسمان قسم يدغما فيه بغنة ب ينمو علما

الا اذا كانا بكلمة فلا تدغم ك دنيا ثم صنوان تلا

والثاني ادغام بغير غنة في اللام والراء ثم كررنه

3-الاقلاب :

- لغة : هو تحويل الشيء عن وجهه .

- اصطلاحا : جعل حرف مكان حرف اخر , أي قلب النون الساكنة والتنوين ميما قبل الباء مع مراعاة الاخفاء والغنة , وللإقلاب حرف واحد هو الباء ويكون مع النون في كلمة مثل : "أنبئهم" أو في كلمتين مثل : "سميع بصير" ,"من بعد".

[1] _ عبد الكريم أحمد حمادوش ,عبد الحفيظ بن طاهر هلال , أنواع المطالع في أصول رواية ورش عن نافع ,تر : الزهرة بلعالية دومة ,دار الامام مالك , البليدة , الجزائر , ط 4 , 1431ه/2010م , ص 98.

[2] عبد الكريم أحمد حمادوش , عبد الحفيظ بن طاهر هلال , أنوار المطالع في اصول رواية ورش عن نافع , ص 100.

-والسبب في الاقلاب عسر الاتيان بالغنة في النون والميم الساكنتين مع الاظهار ثم اطباق الشفتين لأجل الباء , وعسر الادغام كذلك لاختلاف المخرج وقلة التناسب فتعين الاخفاء وتوصل اليه بالقلب ميما , خصصت الميم بالقلب دون غيرها من الحروف لمشاركتها الباء مخرجا والنون صفة فالإقلاب ثلاثة أعمال : قلب واخفاء وغنة [1]

قال الجمزوري في تحفة الأطفال :

والثالث الاقلاب عند الباء ميما بغنة مع الاخفاء

*ومن هنا نستنتج أن الاقلاب هو تحويل أو قلب أو جعل النون الساكنة أو التنوين ميما ويكون هذا اذا تلاها حرف الباء فقط يتبعها اخفاء شفوي وغنة مقدارها حركتان أي مع الاقلاب يكون هناك اخفاء وغنة .

4-الاخفاء :

- لغة : الستر

- اصطلاحا : النطق بالحرف بحالة وسط بين الاظهار والادغام , عار من التشديد مع بقاء الغنة .

- حروفه : خمسة عشر حرفا , وقد جمعها صاحب التحفة في أوائل كلم هذا البيت :

صف ذا ثناكم جاد شخص قد سما دم طيبا زد في تقى ضع ظالما .

فالحروف هي : الصاد , الذال , الثاء , الكاف , الجيم , الشين , القاف , السين , الدال , الطاء , الزاي , الفاء , التاء , الضاد, الظاء .

- سبب تسميته بالإخفاء الحقيقي هو : تحقيق الاخفاء فيهما أي في النون الساكنة والتنوين أكثر من غيرهما واتفق العلماء على تسميته كذلك .[2]

ومن أمثلته في سورة الفرقان : أنزله , كنز , أن تتبعون , ان شاء .....

- الفرق بين الاخفاء والادغام :

1- الاخفاء يكون خاليا من التشديد أما الادغام يكون مشددا .

[1] علي بن عبد الرحمان الحذيفي , التجويد الميسر , مكتبة الملك فهد الوطنية , المدينة المنورة , ط 2 , 1433ه/2016م , ص64
[2] -محمود بن رأفت بن زلط , أحكام التجويد والتلاوة , ص23

2-الاخفاء يكون في أن يخفى الحرف في نفسه لا في غيره أما الادغام فيدغم الحرف في غيره .

3-الاخفاء يكون وسطا بين الاظهار والادغام أما الادغام فيكون مدغما .

4-الاخفاء يكون من كلمة أو كلمتين والادغام يكون من كلمتين فقط .

*ومنه نستنتج أن : الاخفاء هو النطق بالنون الساكنة أو التنوين على صفة بين الاظهار والادغام مع بقاء الغنة الكاملة في الحرف الأول وذلك اذا جاء بعدها أحد حروف الاخفاء والمطلوب عند نطق النون مخفاة :

1-تهيئة الفم على مخرج الحرف التالي .

2-نطق الغنة كاملة من الخيشوم .

3- نطق صويت من الفم بسبب عدم انغلاق مخرج النون .

4-يكون صوت النون المخفاة أو التنوين مفخما اذا جاء بعده حرف مفخم .

5-دلالة استخدام أحكام النون الساكنة :

تكمن دلالة استخدام هاته الأحكام في معاني الايات والسورة التي وردت بها ونأخذ أمثلة عن دلالة كل حكم من أحكام النون الساكنة في سورة الفرقان .

1/5-الاظهار:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا"4"

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ سَخَافَة عُقُول الْجَهَلَة مِنْ الْكُفَّار فِي قَوْلهمْ عَنْ الْقُرْآن " إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْك " أَيْ كَذِب " اِفْتَرَاهُ " يَعْنُونَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْم آخَرُونَ " أَيْ وَاسْتَعَانَ عَلَى جَمْعه بِقَوْمٍ آخَرِينَ فَقَالَ اللَّه تَعَالَى " فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا " أَيْ فَقَدْ اِفْتَرَوْا هُمْ قَوْلًا بَاطِلًا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَاطِل وَيَعْرِفُونَ كَذِب أَنْفُسهمْ فِيمَا زَعَمُوهُ . [1]

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص 1349

* فهنا الاظهار يكمن في قوله تعالى " إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ" فهنا اظهار في الصوت والمعنى فالله تعالى يَقُول مُخْبِرًا عَنْ سَخَافَة عُقُول الْجَهَلَة مِنْ الْكُفَّار فِي قَوْلهمْ عَنْ الْقُرْآن " إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْك " أَيْ كَذِب ",أي تكذيب الكفار للقران والنبي , وهنا المعنى ظاهر فجاء الحكم الاظهار في الصوت .

2/5– الادغام :

جاء الادغام في موضعين من الآية "سِرَاجًا وَقَمَرًا" , " وَقَمَرًا مُنِيرًا ", فسراجا هي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود ,"وقمرا منيرا" أي مشرقا مُضِيئًا بِنُورٍ آخَر مِنْ غَيْر نُور الشَّمْس ,فهنا المعنى مدغم ومتداخل فجاء الحكم الادغام ,ونذكر دلالة الآية كاملة وقد وردت عند ابن كثير كالتالي:

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا"61"

يَقُول تَعَالَى مُمَجِّدًا نَفْسه وَمُعَظِّمًا عَلَى جَمِيل مَا خَلَقَ فِي السَّمَوَات مِنْ الْبُرُوج وَهِيَ الْكَوَاكِب الْعِظَام فِي قَوْل مُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَأَبِي صَالِح وَالْحَسَن وَقَتَادَة وَقِيلَ هِيَ قُصُور فِي السَّمَاء لِلْحَرْسِ يُرْوَى هَذَا عَنْ عَلِيّ وَابْن عَبَّاس وَمُحَمَّد بْن كَعْب وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ وَسُلَيْمَان بْن مِهْرَان الْأَعْمَش وَهُوَ رِوَايَة عَنْ أَبِي صَالِح أَيْضًا وَالْقَوْل الْأَوَّل أَظْهَر اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُون الْكَوَاكِب الْعِظَام هِيَ قُصُور لِلْحَرْسِ فَيَجْتَمِع الْقَوْلَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيح" الْآيَة وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا " وَهِيَ الشَّمْس الْمُنِيرَة الَّتِي هِيَ كَالسِّرَاجِ فِي الْوُجُود كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا " " وَقَمَرًا مُنِيرًا " أَيْ مُشْرِقًا مُضِيئًا بِنُورٍ آخَر مِنْ غَيْر نُور الشَّمْس كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْس ضِيَاء وَالْقَمَر نُورًا " وَقَالَ مُخْبِرًا عَنْ نُوح عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ" أَلَمْ تَرَوْا كَيْف خَلَقَ اللَّه سَبْع سَمَوَات طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَر فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْس سِرَاجًا" .[1]

3/5–الاقلاب :

وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا"18"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُجِيب بِهِ الْمَعْبُودُونَ يَوْم الْقِيَامَة " قَالُوا سُبْحَانك مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذ مِنْ دُونك مِنْ أَوْلِيَاء" قَرَأَ الْأَكْثَرُونَ بِفَتْحِ النُّون مِنْ قَوْله " نَتَّخِذ مِنْ دُونك مِنْ أَوْلِيَاء " أَيْ لَيْسَ لِلْخَلَائِقِ كُلّهمْ أَنْ يَعْبُدُوا

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص1362

أَحَدًا سِوَاك لَا نَحْنُ وَلَا هُمْ فَنَحْنُ مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ بَلْ هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ تِلْقَاء أَنْفُسهمْ مِنْ غَيْر أَمْرنَا وَلَا رِضَانَا وَنَحْنُ بُرَآء مِنْهُمْ وَمِنْ عِبَادَتهمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَيَوْم يَحْشُرهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُول لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانك " الْآيَة وَقَرَأَ آخَرُونَ " مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذ مِنْ دُونك مِنْ أَوْلِيَاء " أَيْ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْبُدنَا فَإِنَّا عَبِيد لَك فُقَرَاء إِلَيْك وَهِيَ قَرِيبَة الْمَعْنَى مِنْ الْأُولَى" وَلَكِنْ مَتَّعْتهمْ وَآبَاءَهُمْ " أَيْ طَالَ عَلَيْهِمْ الْعُمُر حَتَّى نَسُوا الذِّكْر أَيْ نَسُوا مَا أَنْزَلْته إِلَيْهِمْ عَلَى أَلْسِنَة رُسُلك مِنْ الدَّعْوَة إِلَى عِبَادَتك وَحْدك لَا شَرِيك لَك " وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا " قَالَ اِبْن عَبَّاس أَيْ هَلْكَى وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ وَمَالِك عَنْ الزُّهْرِيّ أَيْ لَا خَيْر فِيهِمْ وَقَالَ اِبْن الزِّبَعْرَى حِين أَسْلَمَ : يَا رَسُول الْمَلِيك إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِق مَا فَتَقْت إِذْ أَنَا بُور إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَان فِي سُنَن الْ ... غَيّ وَمَنْ مَالَ مَيْله مَثْبُور

* فهنا تحول المعنى فما يجب أن يكون عليه المعبدون يوم القيامة هو الصلاح ولكنهم كانوا قوما بورا أي لا خير فيهم بسبب الأعمال التي كانوا يقومون بها فالمعنى تحول فحدث تحول في الصوت.

4/5– الاخفاء :

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا"54"

وَقَوْله تَعَالَى : " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاء بَشَرًا " أَيْ خَلَقَ الْإِنْسَان مِنْ نُطْفَة ضَعِيفَة فَسَوَّاهُ وَعَدَّلَهُ وَجَعَلَهُ كَامِل الْخِلْقَة ذَكَرًا وَأُنْثَى كَمَا يَشَاء " فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا " فَهُوَ فِي اِبْتِدَاء أَمْره وَلَد نَسِيب ثُمَّ يَتَزَوَّج فَيَصِير صِهْرًا يَصِير لَهُ أَصْهَار وَأَخْتَان وَقَرَابَات وَكُلّ ذَلِكَ مِنْ مَاء مَهِين وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " وَكَانَ رَبّك قَدِيرًا " .[1]

* ورد الاخفاء في قوله تعالى " بَشَرًا فَجَعَلَهُ" أي خلق من الرجل والمرأة ذرية ذكورا واناثا ,فنشأ من هذا قرابة النسب وقرابة المصاهرة , وكان ربك قديرا على خلق ما يشاء.

[1] - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القران العظيم، ص 1360

المبحث الثاني : الميم الساكنة :

أولا – عرفها الدكتور "محمد عصام مفلح القضاة " في كتابه الواضح في أحكام التجويد : بأنها أحد الحروف الهجائية , ولها من الصفات اللازمة "الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح والاذلاق والغنة ", أما صفاتها العارضة فثلاثة هي : الادغام والاخفاء والاظهار , والمراد بالميم الساكنة هنا ماكان سكونها في حالتي الوصل والوقف في الاسم والفعل والحرف , وقد اصطلح علماء التجويد على تسميتها أحكام الميم الساكنة , وفيما يلي بيانها:

1-*الأول الادغام : وذلك اذا وقع بعد الميم الساكنة ميم , فيجب الادغام مع مراعاة الغنة ويسمى ادغام مثلين صغير.

2-*الثاني الاخفاء : اذا وقع بعد الميم الساكنة حرف الباء جاز اخفاء الميم الساكنة مع مراعاة الغنة ويسمى هذا بالاخفاء الشفوي .

3-*الثالث الاظهار :اذا وقع بعد الميم الساكنة أحد الحروف الباقية وجب اظهارها سواء كان ذلك في كلمة واحدة أم في كلمتين .[1]

ثانيا – عرفها محمد أحمد معبد الميم الساكنة بأنها : الخالية من الحركة ولها ثلاثة أحكام "الاخفاء والادغام والاظهار"

1-الإخفاء الشفوي :ويكون اخفاء الميم الساكنة عند حرف واحد وهو الباء فقط , فاذا وقعت ميم ساكنة ووقع بعدها حرف الباء يكون حكمها الاخفاء ,وسمي اخفاء شفويا لخروج حرفيه وهما الميم والباء من الشفتين , بخلاف الاخفاء مع النون الساكنة والتنوين فيسمى اخفاء حقيقيا , يقول صاحب التحفة :

والميم ان تسكن تجي قبل الهجا لا ألف لينة لذي الحجا

أحكامها ثلاثة لمن ضبط اخفاء ادغام واظهار فقط

فالأول الاخفاء عند الباء وسمه الشفوي للقراء

[1] - محمد عصام مفلح القضاة , الواضح في أحكام التجويد , دار النفائس , الأردن, د ط , د ت, ص 79-81.

2-*الإدغام الشفوي : يكون ادغام الميم الساكنة عند حرف واحد وهو الميم فقط, اذا وقعت ميم ساكنة ووقع بعدها حرف الميم فان حكم الميم الساكنة ادغامها في الميم التي بعدها , ونسمي هذا الادغام ادغام مثلين صغيرا ,لأن الميم الساكنة وقع بعدها ميم مثلها متحركة , لهذا سمي ادغام مثلين صغيرا , قال صاحب التحفة :

والثاني ادغام بمثلها أتى وسم ادغاما صغيرا يا فتى

3-*الإظهار الشفوي : يكون اظهار الميم الساكنة عند بقية أحرف الهجاء , بعد أخذ الباء للإخفاء الشفوي والميم للإدغام الصغير , فيكون الباقي منها ستة وعشرون حرفا من الهمزة الى الياء , ماعدا حرفي الميم والباء , وحكم الميم الساكنة وجوب الاظهار من غير غنة ويكون في كلمة واحدة ونسمي هذا الاظهار اظهارا شفويا , فتظهر الميم الساكنة اذا وقع بعدها حرف من الحروف الستة والعشرين , مع مراعاة شدة اظهار الميم الساكنة عند الواو والفاء , أكثر من غيرهما من الحروف لاتحادها في المخرج مع الواو وقربها فيه مع الفاء [1],قال صاحب التحفة

والثالث الاظهار في البقية من أحرف سماها شفوية

واحذر لدى واو وفا أن تختفي لقربها والاتحاد فاعرف

*من خلال هذين التعريفين نستنتج أن :

الميم الساكنة هي ميم لا حركة لها يكون سكونها ثابت وصلا ووقفا وتضم ثلاثة أحكام " ادغام , اظهار , اخفاء" ونضيف على كل حكم منهم كلمة شفوي لأن مخرج الميم الشفتين , وأحكامها هي :

-الاخفاء الشفوي : اخفاء الميم الساكنة اذا جاء بعدها حرف الباء المتحركة "تجانس صغير " .

-الادغام الشفوي : ادغام الميم الساكنة اذا جاء بعدها حرف ميم متحركة "تماثل صغير".

-الاظهار الشفوي : اظهار الميم الساكنة عند جميع الحروف الهجاء ماعدا الميم والباء ويجب الاظهار الجيد عند حرف الفاء والواو لقرب المخرج ولأن التقارب يؤدي الى الادغام ويجب اظهارهما جيدا .

*وقد أكد عبد الكريم مقيدش بأن الميم الساكنة هي ميم خالية من الحركة ولها ثلاثة أحكام هي : الاظهار الشفوي , الادغام الشفوي , الاخفاء الشفوي , وسميت شفوية لأمرين : لأن الميم حرف شفوي , وليفرق بينهما

[1] - محمد أحمد معبد , الملخص المفيد في علم التجويد , دار الفجر الاسلامية , المدينة المنورة , 1425ه/2004م , ص 38-42.

وبين أحكام النون الساكنة , فالإخفاء الشفوي هو اخفاء الميم الساكنة اجا وقع بعدها حرف الباء مع بقاء الغنة ,أما الادغام الشفوي فهو ادغام الميم الساكنة اذا وقع بعدها ميم متحركة مع مراعاة الغنة والتشديد ,والاظهار الشفوي وهو النطق بالميم الساكنة ظاهرة اذا وقع بعدها باقي الحروف الهجائية.[21]

4- دلالة استخدام أحكام الميم الساكنة :

1/4-الادغام والاخفاء الشفويين :

فَقَدْ **كَذَّبُوكُمْ بِمَا** تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ **يَظْلِمْ مِنْكُمْ** نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا"19"

قَالَ اللَّه تَعَالَى " فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ " أَيْ فَقَدْ كَذَّبَكُمْ الَّذِينَ عَبَدْتُمْ مِنْ دُون اللَّه فِيمَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ لَكُمْ أَوْلِيَاء وَأَنَّهُمْ يُقَرِّبُونَكُمْ إِلَى اللَّه زُلْفَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَمَنْ أَضَلّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُون اللَّه مَنْ لَا يَسْتَجِيب لَهُ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاس كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ " وَقَوْله " فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا " أَيْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى صَرْف الْعَذَاب عَنْهُمْ وَلَا الِانْتِصَار لِأَنْفُسِهِمْ " وَمَنْ يَظْلِم مِنْكُمْ" أَيْ يُشْرِك بِاَللَّهِ " نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا " .

*فالإدغام الشفوي في قوله "يظلم منكم" فهنا التقت ميمين , ودلالة ومن يظلم منكم أي يترك الحق ظلما وعنادا نذقه عذابا كبيرا

*الاخفاء الشفوي في قوله تعالى " فقد كذبوكم بما تقولون " فهنا التقت ميم ساكنة مع حرف الباء ودلالة الاية هي لما تبرؤوا منهم قال الله توبيخا وتقريعا للعابدين"" فقد كذبوكم بما تقولون " انهم أمروكم بعبادتهم ورضوا فعلكم , وأنهم شفعاء لكم عند ربكم , كذبوكم في ذلك الزعم وصاروا من أكبر أعدائكم فحق عليكم العذاب

2/4-الاظهار الشفوي :

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ **وَيَمْشِي** فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا "7"

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ تَعَنُّت الْكُفَّار وَعِنَادهمْ وَتَكْذِيبهمْ لِلْحَقِّ بِلَا حُجَّة وَلَا دَلِيل مِنْهُمْ وَإِنَّمَا تَعَلَّلُوا بِقَوْلِهِمْ " مَا لِهَذَا الرَّسُول يَأْكُل الطَّعَام " يَعْنُونَ كَمَا نَأْكُلهُ وَيَحْتَاج إِلَيْهِ كَمَا نَحْتَاج " وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاق " أَيْ يَتَرَدَّد فِيهَا وَإِلَيْهَا

[1] - عبد الكريم مقيدش , مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق ,دار المعارف للطباعة , الجزائر , ط 6 , 1435ه/2014م, ص 75.

طَلَبًا لِلتَّكَسُّبِ وَالتِّجَارَة " لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَك فَيَكُون مَعَهُ نَذِيرًا" يَقُولُونَ هَلَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَك مِنْ عِنْد اللَّه فَيَكُون شَاهِدًا عَلَى صِدْق مَا يَدَّعِيه .

* فالإظهار الشفوي يكون مع باقي الحروف ما عدا الباء والميم , وفي الآية المعنى ظاهر" وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاق" " أَيْ يَتَرَدَّد فِيهَا وَإِلَيْهَا طَلَبًا لِلتَّكَسُّبِ وَالتِّجَارَة , فالمعنى ظاهر وواضح فجاء الحكم الاظهار الشفوي .

خلاصة الفصل الأول :

– النون الساكنة هي نون خالية من الحركة تكون في الاسم والفعل والحرف ولها أربعة أحكام " الاظهار , الادغام الاقلاب , الاخفاء " .

– الاظهار هو اخراج الحرف من مخرجه من غير غنة , حروفه ستة " الألف , الهاء , العين , الحاء , الغين , الخاء

– الادغام هو التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا حروفه ستة مجموعة في كلمة "يرملون" , وينقسم الادغام الى قسمين ادغام بغنة حروفه مجموعة في كلمة "ينمو" , وادغام بغير غنة حروفه اللام والراء.

– الاقلاب هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميما عند الباء مع مراعاة الغنة والاخفاء له حرف واحد وهو الباء .

– الاخفاء هو النطق بالحرف بحالة وسط بين الاظهار والادغام , عار من التشديد مع بقاء الغنة ,حروفه خمسة عشر حرف : الصاد , الذال , الثاء , الكاف , الجيم , الشين , القاف, السين , الدال , الطاء , الزاي , الفاء التاء , الضاد , الظاء .

– الميم الساكنة هي ميم خالية من الحركة مثل : لم , منكم , لكم , ولها ثلاثة أحكام " اخفاء شفوي , ادغام شفوي , الاظهار الشفوي ", وسمي بالشفوي لخروجه من الشفتين .

– الادغام الشفوي اذا وقع بعد الميم الساكنة ميم ويجب مراعاة الغنة , له حرف واحد هو الميم .

– الاخفاء الشفوي اذا وقع بعد الميم الساكنة حرف الباء جاز اخفاء الميم ,حرفه الباء فقط ,مع مراعاة الغنة .

– الاظهار الشفوي اذا وقع بعد الميم الساكنة أحد الحروف الباقية ما عدا " الميم والباء" وجب اظهارها سواء كان ذلك في كلمة أو كلمتين .

الفصل الثاني : أنواع المدود

المبحث الأول : المد الطبيعي

– مد الصلة الصغرى

– مد العوض

– مد التمكين

– مد ألفات حي طهر

– دلالة المد الطبيعي

المبحث الثاني : المد الفرعي

– المد بسبب الهمز :

***المد المتصل والمد المنفصل**

***مد البدل ومد الصلة الكبرى**

***مد اللين المهموز**

– المد بسبب السكون :

*** المد العارض للسكون**

***المد اللازم**

*** مد اللين**

تمهيد:

أ حكام المدود في التجويد ثلاثة وهي اللزوم والوجوب والجواز , ولابد أن نشير الى أن هذه الأحكام مخصصة بالمد الطبيعي وملحقاته والمد الفرعي وأقسامه ,فالأول يلحق به مد الصلة الصغرى ومد التمكين ومد العوض ومد ألفات حي طهر ,أما بالنسبة للثاني فينقسم الى قسمين مد فرعي بسبب الهمز ومد فرعي بسبب السكون ,فالمد بسبب الهمز يضم المد المتصل والمد المنفصل ومد البدل والصلة الكبرى ومد اللين المهموز , أما بسبب السكون يضم المد العارض للسكون والمد اللازم ومد اللين , أما بالنسبة الى دلالة المد فتكون في معنى السورة وقد أخذنا سورة الفرقان نموذجا.

المدود:

– **المد لغة** : التطويل والاكثار والزيادة منه قوله تعالى " يمددكم ربكم "

– **المد اصطلاحا** : اطالة الصوت بحرف المد أو اللين الى أكثر من حركتين عند وجود السبب

–القصر :

–لغة : الحبس والمنع ومنه "قاصرات الطرف " .

–اصطلاحا : اثبات حرف المد الطبيعي من غير زيادة عليه .

– وحقيقة المد تحققه بأي مقدار وحقيقة القصر عدم المد مطلقا , ولكن المصطلح في علم التجويد كما يستفاد من تعريفي المد والقصر السابقين أن القصر هو مقدار حركتين والمد هو ما فوق ذلك .

– **حروف المد** : ثلاثة حروف هي " الألف والواو والياء " السواكن المجانس لها ما قبلها من حركة , أي أنها :

1–الألف الساكنة المفتوح ما قبلها ولا يكون ما قبلها أبدا الا مفتوحا.

2–الواو الساكنة المضموم ما قبلها شرطا فان كان ما قبلها مفتوحا مثل " يوم وخوف "كانت حرف لين .

3–الياء الساكنة المكسور ما قبلها شرطا , فان كان ما قبلها مفتوحا مثل " بيت , شيء "كانت مد لين .

-وقد تحقق اجتماع هذه المدود الثلاثة في كلمة من الكلمات التالية : نوحيها , أوذينا , أوتينا .[1]

المبحث الأول : المد الأصلي أو الطبيعي :

1- تعريفه :هو المد الذي لا تقوم ذات الحرف الا به ولا يتوقف على سبب ويمد بمقدار حركتين نحو : "نجا , على, دخلوا , يخافون , يسقي .

2- الحركة : هي الفترة الزمنية للنطق بحرف متحرك والحركتان هي الفترة الزمنية اللازمة للنطق بحرفين متحركين متتاليين وعندما نقول هذا المد بمقدار أربع حركات أي مقدار نطق أربع أحرف متحركة متتالية [2]

3- مراتب أزمنة المدود :

*القصر مقداره حركتين , وفوق القصر مقداره ثلاث حركات , أما التوسط فمقداره خمس حركات ,الطول أو الاشباع مقداره ست حركات , وهذا المقياس مرن حسب سرعة القراءة أي ست حركات في التحقيق لا يساوي ست حركات في التدوير لا يساوي ست حركات في الحدر[3].

*يسمى المد الطبيعي أصليا ,لأصالته فهو الأصل بالنسبة لغيره من المدود نظرا لثبوت مقدار مده وهو حركتان دائما ,ويسمى طبيعيا لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه عن مقداره ولا يزيده عليه[4] .

قال صاحب التحفة :[5]

والمد : أصلي , وفرعي له وسم أولا طبيعيا وهو

ما لا توقف له على سبب ولا بدونه الحروف تجتلب

بل أي حرف غير همز أو سكون جا بعد مد فالطبيعي يكون

والاخر الفرعي موقوف على سبب كهمز أو سكون مسجلا

[1] - فريال زكريا العبد , الميزان في أحكام تجويد القران , دار الايمان , الاسكندرية , د ط ,د ت ,ص 170
[2] - أيمن رشدي سويد , النور المبين في تجويد القران الكريم , دار أفنان ,ط 5 , د ت , ص 43.
[3] -المرجع نفسه , ص 44.
[4] -أحمد محمود عبد السميع الشافعي , القول المألوف في المدود والوقف ومخارج وصفات الحروف , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ط1 , 1421ه/2000م , ص 37 .

حروفه ثلاثة فعيها في لفظ (واي) وهي في (نوحيها)

والكسر قبل اليا , وقبل الواو خم شرط وفتح قبل ألف يلتزم

واللين منها اليا و واو سكنا ان انفتاح قبل كل أعلنا [1]

4- المد الملحق بالطبيعي :

قلنا في تعريفنا للمد الطبيعي أنه لا يتوقف على سبب وهناك أنواع غيره من المدود زمنها حركتان مثله ولكنها تتوقف على سبب , فاذا زال السبب لم يكن هناك موجب للمد , ومن ذلك مد الصلة الصغرى ومد العوض...

لذلك ألحقنا تلك المدود بالمد الطبيعي ولم نشركها معه في المسمى لأنها تشترك معه في الحكم فقط وهو وجوب المد حركتين وتختلف معه في السبب فان زال شرط المد امتنع المد [2]

4/1- مد الصلة الصغرى :

هو مد هاء الضمير المفرد المذكر الغائب اذا وقعت الهاء بين حرفين متحركين أي يكون ما قبلها متحركا , وما بعدها متحركا , مثل " انه هو " "ماله يتزكى " فاشباع الضمة على الهاء يجعلها واو ساكنة , مثل " به بصيرا" "الى أهله مسرورا " , فاشباع الكسرة على الهاء يجعلها ياء ساكنة , ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي , أما اذا كان قبل هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد مثل : "منه , اليه " الا في قوله تعالى : "فيه مهانا " فانه يمد مد الصلة حركتين , وأما لو كان بعد هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد كذلك مثل : "كما علمه الله " , ويستثنى من مد الصلة قوله تعالى " وان تشكروا يرضه لكم" فلا تمد الهاء مع أنها واقع بين متحركين , ويكتفي فيها بالقصر فتقرأ كما تكتب "يرضه لكم" , وان أتى بعد ها الضمير همزة تمد كمد منفصل , ويسمى صلة كبرى مثاله "ماله أخلده " "ومن اياته أن ", وتختلف الصلة الصغرى عن الكبرى من ناحيتين ,مقدار المد فالأولى تمد حركتين والثانية خمس حركات , ثم ان الحرف المتحرك بعد هاء الضمير لا يشترط في الصغرى أن يكون همزا بينما يشترط ذلك في الكبرى [3]

[1] - سليمان الجمزوري , تحفة الأطفال , ص

[2] - فريال زكريا العبد , الميزان في أحكام تجويد القران , ص172

[3] - وهبة الرحيلي , التفسير الوجيز على هامش القران العظيم , دار الفكر , دمشق , سوريا , د ط ,د ت , ص 615.

2/4– مد العوض :

هو التعويض عن تنوين النصب حالة الوقف بألف وتمد مقدار حركتين , " التعويض , الاستبدال " ويستثني مد العوض التنوين على تاء التأنيث المربوطة , وهذه يوقف عليها بهاء ساكنة نحو: " رحمة تقرأ وقفا رحمه" " قرية تقرأ وقفا قريه " ,قال الامام أبو عمرو الداني رحمه الله :

والهاء للتأنيث عند الوقف ساكنة هذا بغير خلف

ويكون الوقف على التنوين المنصوب , نحو :أفواجا تقرأ وقفا أفواجا ,سميعا تقرأ وقفا سميعا , ماء تقرأ وقفا ماء [1]

– فمد العوض يتحقق وجوده اذا أردنا الوقوف على اسم منون " بالفتح " غي تاء التأنيث فاننا نقف عليه بتحويل نون التنوين الى ألف مد ولا نتلفظ بالتنوين لأن الألف المدية جاءت عوضا عنه ولذا سمي "مد العوض " ففي مثال " وجنات ألفافا " تنطق ألفافن عند الوصل ولكن اذا اردنا الوقف عليها قلبنا التنوين ألفا فقلنا " ألفافا" ونسقط النطق بالتنوين ومقدار مدها حركتين ومن أمثلة مد العوض " توابا , ركبانا , رجالا , سماءا , بناءا " هكذا تنطق عند الوقف عليها .

–لا يجوز أن نطبق مد العوض على التنوين " بالضم والكسر " أما بالنسبة لتاء التأنيث المنونة بالفتح نحو : محبة , رحمة , اية فتنطق حال الوقف هاء ساكنة هكذا " محبه , رحمه , ايه " [2]

3/4– مد التمكين :

– هو المد الذي يكون عند اجتماع ياءين أولاهما ساكنة والثانية مكسورة مثل "حييتم" ,"النبيين" , "الأميين" .

ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي وسمي كذلك لأن الشدة الحاصلة من اجتماع الياءين مكنته.[3]

ومد التمكين هو ياءان أولهما مشددة مكسورة والثانية ساكنة وسمي مد التمكين لأنه يخرج متمكنا بسبب الشدة, ويمد مقدار حركتين , وهو مد طبيعي يمد بمقدار حركتين لمراعاة المد الطبيعي حتى لا يسقط أو لا يلتبس في ادغامه وله حالتان :

* الحالة الأولى : اذا وقعت ياء مشددة مكسورة بعدها ياء مدية نحو :

[1] - عبد الحفيظ بن طاهر هلال ,عبد الكريم أحمد حمدوش , أنوار المطالع ,ص 130
[2] - فريال زكريا العبد , الميزان في أحكام .تجويد القران , ص 172.
[3] - وهبة الرحيلي , التفسير الوجيز على هامش القران العظيم ,ص 615

حييتم وصلا : مد تمكين يمد حركتين , وقفا مد تمكين يمد حركتين

عليين وصلا : مد تمكين يمد حركتين , وقفا مد عارض للسكون

* الحالة الثانية :

1- أن تأتي ياء مدية اخر الكلمة الأولى وياء متحركة أول الكلمة الثانية نحو : " الذي يوسوس "

2-أن تأتي واو مدية اخر الكلمة الأولى وواو متحركة أو الكلمة الثانية نحو : " امنوا وعملوا"

-فلا بد من تمكين المد الطبيعي حتى لا يلتبس في ادغامه [1]

4/4- مد حروف أوائل السور "حي طهر " :

فيمد حرف (ح)في مثل "حم" , ويمد حرف (ي) و(ه) في "كهيعص", ويمد (ط) في" طسم" , ويمد حرف (ر) في "الر" [2] , وأجمعوا على عدم المد في حرف "حي طهر " لأن كلا منها يتألف من حرفين فقط , الحرف ذاته وألفا بعده "طا , ها , حا , يا, را " وأجمعوا على عدم المد في هجاء الألف حيث ليس فيها حرف مد مطلقا [3]

وما يمد مدا طبيعيا خمسة أحرف مجموعة في قول " حي طهر" وتمد مدا طبيعيا , لأن هجاءها ليس فيه همز ولا سكون فينطق بها هكذا "حا , يا , طا , ها , را " [4] قال الجمزوري :

وذاك أيضا في فواتح السور في لفظ حي طاهر قد انحصر

5/4- دلالة المد الطبيعي نماذج من سورة الفرقان :

يكاد لا يخلو كتاب من كتب التجويد والقراءات من تناول المد والحديث عن أنواعه ومقداره , فالمد له علاقة وطيدة بالمعنى وقد تناولته كتب اللغة ومعظمها تدل على أنه الزيادة والمطاولة في النطق بالصوت فالزيادة هي زيادة زمنية تعطي دلالة ومعنى , ولكل سورة دلالة خاصة بها نأخذها من كتب التفسير ونحن استعن بتفسير ابن كثير لنحصل على دلالة سورة الفرقان وأخذنا بعض النماذج من مثل :

[1] - عزة السعيد الشامي , المفيد في علوم القران وعلم التجويد , ص 120
[2] - عبد الكريم مقيدش , مذكرة في أحكام الترتيل ,ص80
[3] - محمد نبهان بن حسين مصري , البشرى في تيسير القراءات العشر الكبرى , ط 1 , 1434ه/2013م , ص 44
[4] -علي عبد الرحمان الحذيفي, التجويد الميسر , ص 99

أ*مد العوض :

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا **يَسِيرًا**"46"

وَقَوْله تَعَالَى : " ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا " أَيْ الظِّلّ وَقِيلَ الشَّمْس " يَسِيرًا " أَيْ سَهْلًا قَالَ اِبْن عَبَّاس سَرِيعًا وَقَالَ مُجَاهِد خَفِيًّا وَقَالَ السُّدِّيّ قَبْضًا خَفِيًّا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْأَرْض ظِلّ إِلَّا تَحْت سَقْف أَوْ تَحْت شَجَرَة وَقَدْ أَظَلَّتْ الشَّمْس مَا فَوْقه وَقَالَ أَيُّوب بْن مُوسَى فِي الْآيَة " قَبْضًا يَسِيرًا " قَلِيلًا قَلِيلًا .

ب*مد الصلة الصغرى:

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ **مَعَهُ نَذِيرًا** "7"

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ تَعَنُّت الْكُفَّار وَعِنَادهمْ وَتَكْذِيبهمْ لِلْحَقِّ بِلَا حُجَّة وَلَا دَلِيل مِنْهُمْ وَإِنَّمَا تَعَلَّلُوا بِقَوْلِهِمْ " مَا لِهَذَا الرَّسُول يَأْكُل الطَّعَام " يَعْنُونَ كَمَا نَأْكُلهُ وَيَحْتَاج إِلَيْهِ كَمَا نَحْتَاج " وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاق " أَيْ يَتَرَدَّد فِيهَا وَإِلَيْهَا طَلَبًا لِلتَّكَسُّبِ وَالتِّجَارَة " لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَك فَيَكُون مَعَهُ نَذِيرًا" يَقُولُونَ هَلَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَك مِنْ عِنْد اللَّه فَيَكُون شَاهِدًا عَلَى صِدْق مَا يَدَّعِيه .

ت* مد التمكين :

لنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتا وَ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا"49"

وَقَوْله تَعَالَى : " لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَة مَيْتًا " أَيْ أَرْضًا قَدْ طَالَ اِنْتِظَارهَا لِلْغَيْثِ فَهِيَ هَامِدَة لَا نَبَات فِيهَا وَلَا شَيْء فَلَمَّا جَاءَهَا الْحَيَاء عَاشَتْ وَاكْتَسَتْ رُبَاهَا أَنْوَاع الْأَزَاهِير وَالْأَلْوَان كَمَا قَالَ تَعَالَى : " فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اِهْتَزَّتْ وَرَبَتْ " الْآيَة : " وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيّ كَثِيرًا " أَيْ وَلْيَشْرَبْ مِنْهُ الْحَيَوَان مِنْ أَنْعَام وَأَنَاسِيّ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ غَايَة الْحَاجَة لِشُرْبِهِمْ وَزُرُوعهمْ وَثِمَارهمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّل الْغَيْث مِنْ بَعْد مَا قَنَطُوا " الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى : " فَانْظُرْ إِلَى آثَار رَحْمَة اللَّه كَيْف يُحْيِي الْأَرْض بَعْد مَوْتهَا " .

المبحث الثاني : المد الفرعي : هو المد الزائد عن المد الطبيعي بسبب وجود الهمزة أو السكون وحكمه الوجوب والجواز واللزوم , وينقسم المد الفرعي الى قسمين :

أولا : ما كان سببه الهمز : كالمد المتصل والمنفصل والبدل

ثانيا : ما كان سببه السكون : كالمد العارض للسكون والمد اللازم [1]

والمد الفرعي هو ما زاد على المد الأصلي ويكون بسبب اجتماع حرف المد بهمز بعده أو سكون , وسمي فرعيا لتفرعه من المد الأصلي ,وينقسم الى نوعين رئيسيين هما :

الأول مد فرعي بسبب همز بعده, والثاني مد فرعي بسبب سكون بعده , أحكامه ثلاثة :واجب , جائز , لازم وقد أشار اليها صاحب التحفة بقوله :

والاخر الفرعي موقف على سبب كهمز أو سكون مسجلا

للمد أحكام ثلاثة تدوم وهي الوجوب والجواز واللزوم

– النوع الأول : مد فرعي بسبب همز بعده : هذا النوع ينقسم بدوره الى واجب وجائز

* أولا الواجب : المد الواجب منه نوع واحد وهو المد المتصل , و قد قال صاحب التحفة عن المد المتصل

فواجب ان جاء همز بعد مد في كلمة وذا بمتصل يعد

* ثانيا الجائز : كالمد المنفصل

– النوع الثاني : مد فرعي بسبب سكون بعده وينقسم الى صورتين :

* الأولى مد فرعي بسبب سكون لازم

* الثانية مد فرعي بسبب سكون عارض [2]

[1] - ابراهيم بن سعيد الدوسري , تجويد القران الكريم للمبتدئين , دار الحضارة , الرياض , ط 2 , 1428ه/2007م , ص 70 .
[2] - محمود بن رأفت بن زلط , أحكام التجويد والتلاوة , ص 44

أولا : المد بسبب الهمز :

1- المد المتصل

المد المتصل هو الذي اتصل سببه بشرطه ك " جاء ,شاء , وجاىء , سىء , سوء , قروء , النبىء , النسي ,النبوءة" , عند همزها وشبه ذلك وله محل اتفاق ومحل اختلاف

-محل الاتفاق : هو أن القراء اتفقوا على اعتبار أثر الهمزة , وهو زيادة المد المسمى عندهم في الاصطلاح بالمد الفرعي .

- محل الاختلاف : هو تفاوتهم في مقدار تلك الزيادة على حسب مذاهبهم فيه ,فأطولهم مدا "ورش وحمزة " وقدر بثلاث ألفات ثم " عاصم " بألفين وألفين ونصف و " الشامي وعلي " بألفين و "قالون و ابن كثير وابو عمرو " بألفين وألف ونصف , ثم ان هذه الألفات المذكورات قدر كل ألف منها حركتان عربيتان فالمد محل اتفاق والزيادة محل اختلاف [1] .

- فالمد المتصل هو أن يأتي المد والهمز بعده في كلمة واحدة مثل " الملائكة , أولئك , قروء , النسيء , بريء ", واتفق القراء على مده أكثر من حركتين واختلفوا في مقدار ذلك [2] , وهو أن يجتمع حرف المد وبعده الهمزة في كلمة واحدة بمقدار ست حركات وجوبا [3] , فالواجب المتصل اذا جاءت الهمزة بعد صرف المد في كلمة واحدة نحو : جاء , ساء , هؤلاء ...., وجب زيادة المد بمقدار أربع أو خمس حركات , وسمي واجبا لاجتماع العلماء عليه وسمي المد المتصل الهمز متصل بالمد في كلمة واحدة بخلاف المنفصل , ويجب الالتزام به سواء أكانت القراءة حدرا أم تدويرا أم ترتيلا [4]

2- المد المنفصل :

-هو الذي يكون حرف المد في كلمة والهمزة في كلمة أخرى نحو :" يأيها " الانشقاق 6 , "في أموالكم " ال عمران 186, "قوا أنفسكم" التحريم 6 [5]

[1] - محمد مكي نصر الجريسي , نهاية القول المفيد في علم تجويد القران المجيد , مكتبة الاداب , القاهرة , ط 4 , 1432ه/2011م , ص 177
[2] - محمد نبهان مصري , البشرى في تيسير القراءات العشر الكبرى , ص40
[3] - عاشور الخضري الحسني , أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق , ص53
[4] -يوسف الخليفة ابو بكر , أصوات القران كيف نتعلمها ونعلمها , مكتبة الفكر الاسلامي , الخرطوم , ط1 , 1396ه/1973م , ص 120
[5] - الحسن بن شجاع بن محمد الحسن التوني , المفيد في علم التجويد , تح : محمد صفاء طه حمودي , دار عمار , ط 1 , 1430ه/2009م , ص87.

الجائز المنفصل : اذا كان المد في كلمة (اخر الكلمة) والهمزة في أول الكلمة التالية نحو " يا أيها " , "انما أنت " ,فانه يجوز زيادة المد الى أربع أو خمس حركات , كما يجوز أن يقرأ بالقصر (حركتين) , لذا سمي هذا المد " الجائز المنفصل " [1]

3- مد البدل :

- هو الذي يكون قبل حرف المد همز ولا يكون بعده همز ولا سكون نحو : " امن , أوتي ,ايمانا " , وسمي مد بدل لأن حرف المد فيه بدل من الهمزة الساكنة , أو لابدال همزته الثانية حرف مد , ذلك أن أصل امن هو أأمن بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة ,فأبدلت الهمزة الثانية الساكنة حرف مد ألفا , لأنها من جنس حركة ما قبلها وأصل "أوتي هو أؤتي " بهمزتين , الأولى مضمومة والثانية ساكنة فأبدلت الثانية حرف مد واو من جنس حركة ما قبلها , وأصل " ايمانا هو ائمانا" بهمزتين ,الأولى مكسورة والثانية ساكنة فأبدلت الثانية حرف مد ياء لكونها مجانسة لحركة ما قبلها.

-هذه التسمية باعتبار الغالب والكثير , فان من أمثلة مد البدل مالا يكون حرف المد فيه بدلا من الهمزة مثل : " قران , اسرائيل ,مسؤلا ".

-حكم هذا النوع : جواز قصر بمقدار حركتين , وتوسطه بمقدار أربع حركات , ومده بمقدار ست حركات , غير أن حفصا ليس له فيه الا القصر , أما التوسط والمد فهو مذهب ورش من طريق الأزرق , ووجهه القصر ضعف سببه بكونه متقدما على حرف المد ووجه توسطه ومده عند ورش القياس على المدين المتصل والمنفصل بجامع أن كلا حرف مد مجاور للهمز, سواء تقدم الهمز أم تأخر [2]

4- مد الصلة الكبرى :

-الجائز الصلة الكبرى : هو نوع من المنفصل الجائز ولكن لكونه يتعلق بهاء الضمير أفردوا له اسما يميزه بشكل خاص , وسبق الكلام عن الهاء الضمير للغائب المفرد المذكر عند تصنيف مد الصلة كنوع من المدود الملحقة بالمد الطبيعي , واشترطنا هناك أن يقع الضمير بين حرفين متحركين وأن لا يكون ثاني الحرفين همزة لكي يلحق بالمد الجائز المنفصل نحو : " ماله'أخلده " الهمزة 3 , "في ربه أن " البقرة 258 .

[1] - يوسف خليفة أبو بكر , أصوات القران كيف نتعلمها ونعلمها , ص 120
[2] - محمود خليل الحصري , أحكام قراءة القران الكريم , دار البشائر الاسلامية ,د ط , د ت , ص 214

-حكمه : هو نفس حكم المد الجائز عند الوصل فيمد بمقدار أربع الى خمس حركات غير أنه يفترق عنه حال الوقف لأن الهاء في مد الصلة تسكن فيلغى المد كلية , أما الجائز المنفصل فيتحول الى مد طبيعي بمقدار حركتين , وهذا هو الفرق بينهما وهو فرق جدير بالانتباه اليه وعلامته كما قلنا في مد الصلة الصغرى واو صغيرة (و) عند اشباع حركة الضمة , وياء صغيرة (ي) عند اشباع حركة الياء , غير أنه في مد الصلة الكبرى نجد فوق الواو والياء علامة المد [1]

5- مد اللين المهموز :

- هو أن يأتي بعد حرف اللين "الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما همزة في كلمة واحدة نحو : شيء , سوء , فيكون مقدار المد أربع حركات التوسط , أو ست حركات الطول وصلا ووقفا , يقول ابن بري رحمه الله :

والواو والياء متى سكنتا ما بين فتحة وهمز مدتا

ويقول الشاطبي رحمه الله :

وان تسكن اليا بين فتح وهمز بكلمة أو واو فوجهان حملا

بطول وقصر وصل ورش ووقفه وعند سكون الوقف للكل أعملا

- المستثنى من مد اللين المهموز :

يستثنى لورش رحمه الله مد اللين هاتان الكلمتان " موئلا " والموءودة " وقد أشار ابن بري رحمه الله اليهما بقوله :

وقصر موئلا مع الموءودة لكنها في حالة مفقودة [2]

ثانيا : المد بسبب السكون

1- المد العارض للسكون :

- هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك يوقف عليه بالسكون مثاله " نستعين" , "الدين ", " ممنون ", " الحساب" , ويجوز في مده ثلاثة أوجه : الطول ست حركات , التوسط أربع حركات , القصر حركتان [3] ,

[1] - فريال زكريا العبد , الميزان في أحكام تجويد القران , ص 180
[2] - عبد الحفيظ بن طاهر هلال , عبد الكريم أحمد حمادوش , أنوار المطالع في أصول رواية ورش عن نافع , ص 140
[3] - وهبة الرحيلي , التفسير الوجيز على هامش القران العظيم , ص 616 .

والمد العارض للسكون هو أن يأتي حرف المد وبعده حرف ساكن سكون عارض بسبب الوقف نحو : " البيان , تعلمون .." , أما مقدار المد العارض لسكون (2 , 4, 6) حركات , اذا ابتدأ القارئ تلاوته بأحد المقادير الثلاثة السابقة للمد العارض للسكون فانه يستمر عليه الى أن ينهي تلاوته [1] , والمد العارض للسكون "أي بسبب السكون العارض لأجل الوقف " وذلك نحو : الفتاح ,العليم , المؤمنون " , مد اللين هو أيضا عارض للسكون وذلك نحو " قوم و غير" ولكي يمكننا أن نميز الفرق بين المد العارض للسكون ومد اللين ينبغي لنا أن نكون على بينة أولا من الفرق بين " حروف المد وحروف اللين " ,حروف المد ثلاثة هي : الألف الساكنة المفتوح ما قبلها دائما مثل " قال" , الواو الساكنة المضموم ما قبلها شرطا نحو " يقول" , الياء الساكنة المكسور ما قبلها شرطا نحو " قيل " , وحروف اللين حرفان فقط :الواو الساكنة المفتوح ما قبلها نحو " خوف" , الياء الساكنة المفتوح ما قبلها نحو " بيت "[2]

2– المد اللازم :

– هو المد بسبب السكون الذي يلي حرف المد , وسمي بالمد اللازم لأجل ملازمة واتصال حرف المد بالسكون في جميع أحواله وقفا ووصلا , وكذلك لالتزام جميع القراء بمده مدا مشبعا بمقدار ست حركات وللمد اللازم أربعة أنواع هي :

1/2– المد اللازم الكلمي المخفف : هو أن يلي حرف المد حرف ساكن غير مدغم فيما بعده لذلك سمي مخففا , وسمي كلميا لوقوع حرف المد والحرف الساكن في كلمة , مثل : " محياي ",ويلحق بهذا النوع :

أ/ مد الفرق : عند دخول همزة استفهام قطعية مفتوحة على همزة وصل لام التعريف المبدلة ألفا لدخول همزة الاستفهام عليها , وألحق بالمد اللازم لأن الحرف الذي أتى بعد حرف المد أصله السكون , وحرك بحركة الهمزة التي بعده بالنقل مثل " ءالن "

ب/مد الفرق عند التقاء همزتين قطعيتين مفتوحتين في كلمة واحدة , وجاء بعدها حرف ساكن , تبدل الهمزة الثانية مدا مشبعا بمقدار ست حركات لأجل السكون , وهذا في الوجه المقدم مثل : أأقررتم فتبدل ءاقررتم .

[1] - أيمن رشدي سويد , أطلس التجويد , ص144
[2] - فريال زكريا العبد , الميزان في أحكام تجويد القران , ص 181

ج/ عند ابدال الهمزة القطعية المفتوحة الثانية مدا مشبعا بمقدار ست حركات لجل وجود حرف ساكن بعدها وذلك في لفظ (رأيت) عند دخول همزة قطعية استفهامية عليه , مثل: أرأيت فتبدل أرايت .

د/لفظ (أنتم) عند دخول هاء التنبيه عليه , هأنتم فتبدل الهمزة القطعية مدا مشبعا فتقرأ هانتم .

هـ/ عند التقاء همزتين قطعيتين متفقتين في الحركة , تكون الأولى في اخر الكلمة والثانية أول الكلمة الموالية , ووقع بعدها حرف ساكن فتبدل الهمزة الثانية مدا مشبعا عند الوصل , لأجل السكون الذي بعدها مثل : جاء أمرنا فتبدل جاء امرنا .

2/2– المد اللازم الكلمي المثقل : هو أن يلي حرف المد حرف ساكن مدغم في الحرف المتحرك الذي بعده , لذلك سمي مثقلا لأجل الشدة وسمي لازم وكلميا لملازمة حرف المد الشدة في كلمة واحدة مثل : ءامين تصبح ءامين , الضالين تصبح الضالين , ويلحق به مد الفرق اذا جاء بعده حرف مشدد مثل: ءالله , ءالذكرين .

3/2– المد اللازم الحرفي المخفف : هو أن يكون الحرف في اوائل بعض السور المبدوءة بالحروف المقطعة , هجاؤه ثلاثة أحرف , أوسطها حرف مد واخرها حرف ساكن غير مدغم في الحرف الذي بعده وحروفه مجموعة في عبارة " نقص عسلكم" , "نون , قاف , صاد , عين , سين , لام ,كاف , ميم ", نلاحظ من خلال الأمثلة أن كل الحروف وسطها حرف مد , الا عين وسطها حرف لين , اذن تلحق بهذه الحروف في وجهها المقدم ست حركات , والوجه الثاني التوسط أربع حركات , وحكم جميع هذه الحروف لزوم المد ست حركات وصلا ووقفا .[1]

4/2– المد اللازم الحرفي المثقل : هو أن يكون الحرف في أوائل بعض السور هجاؤه ثلاثة أحرف ,أوسطها حرف مد واخرها حرف ساكن مدغم في حرف متحرك الذي بعده وقد وقع ذلك في "ألم " "طسم" , حيث أدغمت الميم الساكنة لحرف اللام والنون الساكنة لحرف السين , في الميم الأولى المتحركة لحرف ميم , نلاحظ ألف لام ميم ,طاسين ميم , فصارت بعد الادغام ألف لاميم , طاسيميم, وسمي بالحرفي لوقوع هذا المد في الحروف المقطعة في أوائل بعض السور , وسمي بالمثقل لوجود الشدة أو السكون المدغم بعد حرف المد .

تنبيه :اذا تحرك الحرف الساكن المخفف عند الوصل بحركة عارضة تخلصا من التقاء الساكنين مثل : " ألم الله " ال عمران1 , تقرأ " ألف لاميملاه" , أو بسبب نقل الحركة مثل " ألم حسب" العنكبوت1, فتقرأ "ألف

[1] - عمر بن أحمد بوسعدة , الشامل في التجويد , نشر وتوزيع سيديا , الجزائر , د ط , د ت , ص 99-101.

لاميمحسب" فحكم المد المتصل بالحركة العارضة لاشباع اعتداد بالأصل , والقصر اعتداد بالحركة العاضة الاشباع مقدم .

3- مد اللين:

-هو أن يأتي حرف اللين "الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلها " وبعده حرف ساكن سكونا عارضا بسبب الوقف نحو :قوم , بيت , قريش" .

- مقدار مد اللين : يمد مقدار اللين بمقدار (2 , 4, 6) حركات ,أو نقول بمقدار ألف أو ألفين أو ثلاث ألفات
- اذا ابتدأ القارئ تلاوته بأحد المقادير الثلاثة السابقة لمد اللين فانه يستمر عليه حتى ينهي تلاوته لأن التلاوة مبنية على التناظر.

- اذا اجتمع في التلاوة مد عارض للسكون مع مد لين فيجب أن يكون مقدار اللين متساويا أو أقل [1].

المد العارض	مد اللين
2	2
4	4/2
6	6/4/2

4- دلالة المد الفرعي نماذج من سورة الفرقان :

1/4-* مد بسبب السكون:

أ- المد المتصل :

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ **جَاءَنِي** وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا"29"

"لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْر " وَهُوَ الْقُرْآن " بَعْد إِذْ جَاءَنِي " أَيْ بَعْد بُلُوغه إِلَيَّ قَالَ اللَّه تَعَالَى " وَكَانَ الشَّيْطَان لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا " أَيْ يَخْذُلهُ عَنْ الْحَقّ وَيَصْرِفهُ عَنْهُ وَيَسْتَعْمِلهُ فِي الْبَاطِل وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ.

[1]- أيمن رشدي سويد , النور المبين في تجويد القران الكريم, ص 49 .

ب – المد المنفصل ومد البدل :

وَقَالَ الَّذِينَ **كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ** افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ **آخَرُونَ** فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا"4"

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ سَخَافَة عُقُول الْجَهَلَة مِنْ الْكُفَّار فِي قَوْلهمْ عَنْ الْقُرْآن " إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْك " أَيْ كَذِب " اِفْتَرَاهُ " يَعْنُونَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْم آخَرُونَ " أَيْ وَاسْتَعَانَ عَلَى جَمْعه بِقَوْمٍ آخَرِينَ فَقَالَ اللَّه تَعَالَى " فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا " أَيْ فَقَدْ اِفْتَرَوْا هُمْ قَوْلًا بَاطِلًا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَاطِل وَيَعْرِفُونَ كَذِب أَنْفُسهمْ فِيمَا زَعَمُوهُ .

ت– مد الصلة الكبرى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا **مَعَهُ أَخَاهُ** هَارُونَ وَزِيرًا"35"

يَقُول تَعَالَى مُتَوَعِّدًا مَنْ كَذَّبَ رَسُوله مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمه وَمَنْ خَالَفَهُ وَمُحَذِّرهمْ مِنْ عِقَابه وَأَلِيم عَذَابه مِمَّا أَحَلَّهُ بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَة الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ فَبَدَأَ بِذِكْرِ مُوسَى وَأَنَّهُ بَعَثَهُ وَجَعَلَ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُون وَزِيرًا أَيْ نَبِيًّا مُؤَازِرًا وَمُؤَيِّدًا وَنَاصِرًا فَكَذَّبَهُمَا فِرْعَوْن وَجُنُوده .

ث– مد اللين المهموز :

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ **السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا"40"

" وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَة الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَر السَّوْء" يَعْنِي قَرْيَة قَوْم لُوط وَهِيَ سَدُوم الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّه بِالْقَلْبِ وَبِالْمَطَرِ مِنْ الْحِجَارَة الَّتِي مِنْ سِجِّيل كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَر الْمُنْذَرِينَ " وَقَالَ : " وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " وَقَالَ تَعَالَى " وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيم " وَقَالَ : " وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِين " وَلِهَذَا قَالَ " أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا " أَيْ فَيَعْتَبِرُوا بِمَا حَلَّ بِأَهْلِهَا مِنْ الْعَذَاب وَالنَّكَال بِسَبَبِ تَكْذِيبهمْ بِالرَّسُولِ وَبِمُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِر اللَّه " بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا " يَعْنِي الْمَارِّينَ بِهَا مِنْ الْكُفَّار لَا يَعْتَبِرُونَ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا أَيْ مَعَادًا يَوْم الْقِيَامَة .

2/4-- مد فرعي بسبب السكون :

أ-* مد عارض للسكون:

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا **مِنَ الْمُجْرِمِينَ** وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا"31"

كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوًّا شَيَاطِين الْإِنْس وَالْجِنّ " الْآيَتَيْنِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَهُنَا " وَكَفَى بِرَبِّك هَادِيًا وَنَصِيرًا" أَيْ لِمَنْ اِتَّبَعَ رَسُوله وَآمَنَ بِكِتَابِهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ فَإِنَّ اللَّه هَادِيه وَنَاصِره فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَإِنَّمَا قَالَ " هَادِيًا وَنَصِيرًا " لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَصُدُّونَ النَّاس عَنْ اِتِّبَاع الْقُرْآن لِئَلَّا يَهْتَدِيَ أَحَد بِهِ وَلِتَغْلِب طَرِيقَتهمْ طَرِيقَة الْقُرْآن فَلِهَذَا قَالَ : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوًّا مِنْ الْمُجْرِمِينَ " الْآيَة .

ب-* المد اللازم و مد اللين:

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ **عَلَيْهِ وَكِيلًا**"43"

أَرَأَيْت مَنْ اِتَّخَذَ إِلَهه هَوَاهُ " أَيْ مَهْمَا اِسْتَحْسَنَ مِنْ شَيْء وَرَآهُ حَسَنًا فِي هَوَى نَفْسه كَانَ دِينه وَمَذْهَبه كَمَا قَالَ تَعَالَى : " أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوء عَمَله فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّه يُضِلّ مَنْ يَشَاء " الْآيَة وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا " أَفَأَنْت تَكُون عَلَيْهِ وَكِيلًا " قَالَ اِبْن عَبَّاس كَانَ الرَّجُل فِي الْجَاهِلِيَّة يَعْبُد الْحَجَر الْأَبْيَض زَمَانًا فَإِذَا رَأَى غَيْره أَحْسَن مِنْهُ عَبَدَ الثَّانِي وَتَرَكَ الْأَوَّل.

خلاصة الفصل الثاني :

– المد هو اطالة الصوت بحرف المد أو اللين عند وجود السبب وضده القصر .

– حروف المد هي الألف والواو والياء , أما حروف اللين هي الواو والياء المفتوح ما قبلها .

– ينقسم المد الى قسمين مد طبيعي " أصلي " وهو الذي لا تقوم ذات الحرف الا به مقداره حركتان , ومد فرعي هو المد الزائد على المد الأصلي لسبب من الأسباب ينقسم الى قسمين " سببه الهمز , سببه السكون ".

– يلحق بالمد الطبيعي :

*مد العوض : هو التعويض عن تنوين النصب حال الوقف بألف تمد بمقدار حركتين .

* مد الصلة الصغرى : هو مد هاء الضمير المفرد المذكر الغائب اذا وقعت الهاء بين حرفين متحركين .

* مد التمكين : هو المد الذي يكون عند اجتماع ياءين أولهما ساكنة والثانية مكسورة .

* مد ألفات حي طهر في أوائل السور بمقدار حركتين .

– المد الفرعي بسبب الهمز يضم :

* المد المتصل : اذا جاءت الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة , وهو واجب مقداره أربع أو خمس حركات .

* المد المنفصل : هو أن يكون حرف المد في كلمة والهمزة في كلمة أخرى , وهو جائز .

*مد البدل : هو أن يتقدم الهمز على حرف المد في كلمة .

* مد الصلة الكبرى : أن يأتي بعد الهاء همز , أما مد اللين المهموز هو أن يأتي بعد حرف اللين همزة .

– مد فرعي بسبب السكون يضم :

*المد العارض للسكون : هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك يوقف عليه بالسكون

* مد اللين : هو أن يأتي حرف اللين وبعده حرف ساكن .

*المد اللازم : ينقسم الى مد لازم حرفي "مخفف , مثقل " ,مد لازم كلمي " مخفف , مثقل ".

الفصل الثالث : دراسة تطبيقية التشكيل الفونيمي في سورة الفرقان

المبحث الأول : أحكام النون الساكنة في سورة الفرقان

–الإظهار

–الإدغام

–الإقلاب

–الإخفاء

المبحث الثاني : أحكام الميم الساكنة في سورة الفرقان

–الإدغام الشفوي

–الإخفاء الشفوي

–الإظهار الشفوي

المبحث الثالث : أنواع المدود في سورة الفرقان

–المد الطبيعي

–المد الفرعي بسبب الهمز

–المد الفرعي بسبب السكون

تمهيد : في هذا الفصل سنتطرق إلى عد واحصاء أحكام النون الساكنة وأحكام الميم الساكنة واستخراج المدود كلا من المد الطبيعي والمد الفرعي من سورة الفرقان أما بالنسبة إلى الدلالة فقد تطرقنا اليها في الفصول السابقة .

المبحث الأول : أحكام النون الساكنة في سورة الفرقان:

– سنتطرق في هذه الدراسة إلى أحكام النون الساكنة عدا واحصاء من سرة الفرقان ، فنستخرج كلا من الإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء .

1– الإظهار :

النون الساكنة	التنوين	رقم الاية	الصفحة	الحرف
ان هذا		4	360	الهاء
	افك افتراه	4	360	الألف
	كنز أو تكون	8	360	الألف
من أولياء		18	361	الألف
من عمل		23	362	العين
	يومئذ خير	24	362	الجاء
	يوما على الكافرين	26	362	العين
	بمثل الا جئناك	33	363	الألف
	عذابا أليما	37	363	الألف
أنعاما		49	364	العين
	ملح أجاج	53	364	الألف
	أجر الا	57	365	الألف
	الاها اخر	68	366	الألف

–وردت النون الساكنة في كلمة واحدة مرة واحدة في سورة الفرقان , أما في كلمتين وردت ثلاث مرات , والتنوين ورد تسع مرات , فالإظهار ورد ثلاثة عشر مرة في سورة الفرقان .

ينظر دلالة الإظهار الصفحة 46

2– الإدغام

ادغام بغنة	ادغام بغير غنة	الاية	الصفحة	الحرف
ولدا ولم		2	359	الواو
شيئا وهم		3	360	الواو
ضرا ولا نفعا		3	360	الواو
نفعا ولا يملكون		3	360	الواو
موتا ولا		3	360	الواو
حيوة ولا نشورا		3	360	الواو
ضلما وزورا		4	360	الواو
بكرة وأصيلا		5	360	الواو
رجلا مسحورا		8	360	الميم
خيرا من		10	360	الميم
من مكان		12	361	الميم
تغيظا وزفيرا		12	361	الواو
ضيقا مقرنين		13	361	الميم
ثبورا واحدا		14	361	الواو
واحدا وادعو		14	361	الواو
جزاءا و مصيرا		15	361	الواو
وعدا مسؤولا		16	361	الميم
أن نتخذ		18	361	النون
ولكن متعناهم		18	361	الميم
صرفا لا نصيرا		19	361	الواو
نصيرا ومن		19	361	الواو
ومن يظلم منكم		19	361	الياء
	يومئذ للمجرمين	22	362	اللام
حجرا محجورا		22	362	الميم
هباءا منثورا		23	362	الميم
خيرا مستقرا		24	362	الميم
مستقرا و أحسن		24	362	الواو

عدوا من المجرمين		31	362	الميم
هاديا ونصيرا		31	362	الواو
جملة واحدة		32	362	الواو
شر مكانا وأضل		34	363	الميم و الواو
	نوحا لما	37	363	اللام
وعادا وثمود الاولى		38	363	الواو
و أصحاب الرس		38	363	الواو
ان يتخذونك		41	363	الياء
قبضا يسيرا		46	364	الياء
لباسا والنوم سباتا وجعل		47	364	الواو
بلدة ميتا ونسقيه		49	364	الميم و الواو
أنعاما و أناسى		49	364	الواو
قرية نذيرا		51	364	النون
فرات وهذا ملح		53	364	الواو
برزخا وحجرا محجورا		53	364	الواو و الميم
نسيبا وسهرا وكان ربك قديرا		54	364	الواو
مبشرا ونذيرا		56	365	الواو
أن يتخذ		57	365	الياء
بروجا وجعل		61	365	الواو
سراجا وقمرا منيرا		61	365	الواو و الميم
	خلفة لمن اراد	62	365	اللام
ان يذكر		62	365	الياء
هونا واذا خاطبهم		63	365	الواو
سجدا وقياما		64	365	الواو
مستقرا ومقاما		66	365	الواو
ومن يفعل		68	366	الياء

	غفورا رحيما	70	366	الراء
صما وعميانا		73	366	الواو
اعين واجعلنا		74	366	الواو
تحية وسلاما		75	366	الواو
مستقرا ومقاما		76	366	الواو

-ورد الادغام بغنة أربعة و خمسون مرة في حين ورد الادغام بغير غنة أربع مرات فالإدغام ورد ثمانية وخمسون مرة في سورة الفرقان ، ينظر دلالة الإدغام صفحة 47

3- الإقلاب :

الاقلاب	الآية	الصفحة	الحرف
ينبغي لنا	18	361	الباء
قوما بورا	18	361	الباء
قرونا بين ذلك	38	363	الباء
نشورا بين	48	364	الباء

- ورد الإقلاب أربع مرات في سورة الفرقان ، ينظر دلالة الإقلاب صفحة 47

4- الإخفاء :

الاخفاء	الآية	الصفحة	الحرف
شريك في الملك	2	359	الفاء
شيء فقدره	2	359	الفاء
من دونه/لأنفسهم	3	360	الدال /الفاء
أنزله	6	360	الزاي
أنزل اليه	7	360	الزاي
ملك فيكون معه	7	360	الفاء
كنز	8	360	الزاي
أن تتبعون	8	360	التاء

ان شاء	10	360	الشين
جنات تجري	10	360	التاء
من تحتها	10	360	التاء
لمن كذب	11	360	الكاف
مكانا ضيقا	13	361	الضاد
ثبورا كثيرا	14	361	الكاف
من دون الله	17	361	الدال
من دونك	18	361	الدال
بعيد سمعوا	12	361	السين
عذابا كبيرا	19	361	الكاف
لبعض فتنة	20	361	الفاء
لولا أنزل	21	362	الزاي
أنفسهم	21	362	السين
عتوا كبيرا	21	362	الكاف
عمل فجعلناه	23	362	الفاء
تنزيلا	25	362	الزاي
للانسان خذولا	29	362	السين
وكلا ضربنا	39	363	الضاد
وكلا تبرنا تتبيرا	39	363	التاء
ان كاد	42	363	الكاف
أن صبرنا عليها	42	363	الصاد
وأنزلنا	48	364	الزاي
ماء طهورا	48	364	الطاء
جهدا كبيرا	52	364	الكاف
عذاب فرات	53	364	الفاء
بشرا فجعله	54	364	الفاء
من دون الله	55	364	الدال
ينفعهم	55	364	الفاء

من شاء	57	365	الشين
أيام ثم	59	365	الثاء
من تاب	70	366	التاء
عملا صالحا	70	366	الصاد
ومن تاب /صالحا فانه	71	366	التاء/الفاء

– ورد الاخفاء في سورة الفرقان ثلاثة وأربعون مرة , ينظر دلالة الإخفاء صفحة 48

فقد ظهرت أحكام النون الساكنة من اظهار وادغام واقلاب واخفاء في سورة الفرقان 118 مرة , فالإدغام والاظهار من جنس اللغة وأصلها لا تقوم اللغة الا بها .

– المبحث الثاني : أحكام الميم الساكنة في سورة الفرقان :

– سنقوم في هذا المبحث بتبيان أحكام الميم الساكنة عدا وإحصاء ، فنقوم باستخراج الاظهار الشفوي والادغام الشفوي والاخفاء الشفوي من سورة الفرقان .

1– الاظهار الشفوي :

الاظهار الشفوي	الآية	الصفحة	الحرف
ولم يتخذ	2	359	الياء
ولم يكن	2	359	الياء
وهم يخلقون	3	360	الياء
ولا يملكون	3	360	اللام
لأنفسهم ضرا	3	360	الضاد
تملى	5	360	اللام
يمشي	7	360	الشين
الأمثال	9	360	الثاء
أم جنة	15	361	الجيم
لهم جزاء	15	361	الجيم
لهم فيها	16	361	الفاء
نحشرهم وما	17	361	الواو

أضللتم عبادي	17	361	العين
أم هم	17	361	الهاء
هم ضلوا	17	361	الواو
متعتهم وأباءهم	18	361	الواو
وأباءهم حتى	18	361	الحاء
منكم نذقه	19	361	النون
انهم ليأكلون	20	361	اللام
يمشون	20	361	الشين
بعضهم لبعض	20	361	اللام
أنفسهم وعتو	21	362	الواو
قدمنا	23	362	النون
جملة	32	362	اللام
فدمرناهم تدميرا	36	363	التاء
أغرقناهم وجعلناهم	37	363	الواو
وجعلناهم للناس	37	363	اللام
الأمثال	39	363	الثاء
أمطرت	40	363	الطاء
أفلم يكونوا	40	363	الياء
أم تحسب	44	364	التاء
أكثرهم يسمعون	44	364	الياء
ألم تر	45	364	التاء
بينهم ليذكروا	50	364	اللام
ينفعهم ولا يضرهم	55	364	الواو
ولا يضرهم وكان	55	364	الواو
أسئلكم عليه	57	365	العين
بحمده	58	365	الدال
وزادهم نفورا	60	365	النون

يمشون	63	365	الشين
ربهم سجدا	64	365	السين
لم يسرفوا	67	365	الياء
ولم يقتروا	67	365	الياء
سيئاتهم حسنات	70	366	الحاء
ربهم لم يخروا	73	366	اللام / الياء
ما يعبؤا بكم ربي	77	366	الراء
دعاؤكم فقد	77	366	الفاء
كذبتم فسوف	77	366	الفاء

2- الادغام الشفوي :

الادغام الشفوي	الآية	الصفحة	الحرف
رأتهم من	12	361	الميم
يظلم منكم	19	361	الميم

3- الاخفاء الشفوي :

الاخفاء الشفوي	الآية	الصفحة	الحرف
كذبوكم بما	19	361	الباء
وجاهدهم به	52	364	الباء

- ورد الاظهار الشفوي في سورة الفرقان ثمانية وأربعون مرة , أما الادغام الشفوي فقد ورد مرتين وذلك فقط , وذلك في الآية (12) والآية (19) , وكذلك الاخفاء الشفوي ورد مرتين وذلك في الآية (19) و الآية (52) , أما أحكام الميم الساكنة فقد وردت في سورة الفرقان (52) مرة , والحكم الطاغي في سورة الفرقان هو الاظهار الشفوي ، ينظر دلالة أحكام الميم الساكنة الصفحة 51

– المبحث الثالث : أنواع المدود في سورة الفرقان :

تنقسم المدود إلى قسمين الأول مد طبيعي له ملحقات والثاني مد فرعي ينقسم الى قسمين بسبب الهمز وبسبب السكون وسنقوم بعدها واستخراجها من سورة الفرقان .

المد الطبيعي : مد العوض , مد الصلة الصغرى , مد التمكين

1– مد العوض :

مد العوض	وصلا / وقفا	الآية	الصفحة
نذيرا	وقفا	1	359
ولدا	وقفا	2	359
تقيرا	وقفا	3	359
شيئا	وقفا	3	360
ضرا	وقفا	3	360
نفعا	وقفا	3	360
موتا	وقفا	3	360
نشورا	وقفا	3	360
ظلما	وقفا	4	360
زورا	وقفا	4	360
اصيلا	وقفا	5	360
غفورا	وقفا	6	360
رحيما	وقفا	6	360
نذيرا	وقفا	7	360
رجلا	وقفا	8	360
مسحورا	وقفا	8	360
سبيلا	وقفا	9	360
خيرا	وقفا	10	360
قصورا	وقفا	10	360
سعيرا	وقفا	11	360

تغيظا	وقفا	12	361
زفيرا	وقفا	12	361
مكانا	وقفا	13	361
ضيقا	وقفا	13	361
ثبورا	وقفا	13	361
كثيرا	وقفا	14	361
مصيرا	وقفا	15	361
مسئولا	وقفا	16	361
بورا	وقفا	18	361
نصرا	وقفا	19	361
كبيرا	وقفا	19	361
بصيرا	وقفا	20	361
كبيرا	وقفا	21	362
محجورا	وقفا	22	362
منثورا	وقفا	23	362
مقيلا	وقفا	24	362
تنزيلا	وقفا	25	362
عسيرا	وقفا	26	362
سبيلا	وقفا	27	362
خليلا	وقفا	28	362
خذولا	وقفا	29	362
مهجورا	وقفا	30	362
نصيرا	وقفا	31	362
ترتيلا	وقفا	32	362
تفسيرا	وقفا	33	363
سبيلا	وقفا	34	363
وزيرا	وقفا	35	363
تدميرا	وقفا	36	363

أليما	وقفا	37	363
كثيرا	وقفا	38	363
تتبيرا	وقفا	39	363
نشورا	وقفا	40	363
رسولا	وقفا	41	363
سبيلا	وقفا	42	36
وكيلا	وقفا	43	363
سبيلا	وقفا	44	364
ساكنا	وقفا	45	364
دليلا	وقفا	45	364
يسيرا	وقفا	46	364
نشورا	وقفا	47	364
طهورا	وقفا	48	364
كثيرا	وقفا	49	364
كفورا	وقفا	50	364
نذيرا	وقفا	51	364
كبيرا	وقفا	52	364
محجورا	وقفا	53	364
صهرا	وقفا	54	364
قديرا	وقفا	54	364
ظهيرا	وقفا	55	364
نذيرا	وقفا	56	365
سبيلا	وقفا	57	365
خبيرا	وقفا	58	365
خبيرا	وقفا	59	365
نفورا	وقفا	60	365
منيرا	وقفا	61	365
شكورا	وقفا	62	365

سلاما	وقفا	63	365
قياما	وقفا	64	365
غراما	وقفا	65	365
مقاما	وقفا	66	365
قواما	وقفا	67	365
أثاما	وقفا	68	366
مهانا	وقفا	69	366
رحيما	وقفا	70	366
متابا	وقفا	71	366
كراما	وقفا	72	366
عميانا	وقفا	73	366
اماما	وقفا	74	366
سلاما	وقفا	75	366
مقاما	وقفا	76	366
لزاما	وقفا	77	366

ورد مد العوض واحد وتسعون مرة ، ينظر دلالة مد العوض صفحة 59

2- مد الصلة الصغرى :

مد الصلة الصغرى	**الآية**	**الصفحة**
عبده ليكون	**1**	**359**
له ملك/ له شريك	**2**	**359**
فقدره تقديرا	**2**	**359**
وأعانه عليه	**4**	**360**
انه كان	**6**	**360**
معه نذيرا	**7**	**360**
به فؤادك	**32**	**362**
الهه هواه	**43**	**363**
لجعله ساكنا	**45**	**364**

رحمته وأنزلنا	**48**	**364**
به بلدة	**49**	**364**
به جهادا	**52**	**364**
ربه ظهيرا	**55**	**364**
ربه سبيلا	**57**	**365**
بحمده وكفى	**58**	**365**
به بذنوب	**58**	**365**
عباده خبيرا	**58**	**365**
به خبيرا	**59**	**365**
فانه يتوب	**71**	**366**

– وردت الصلة الصغرى عشرون مرة ، ينظر دلالة مد الصلة الصغرى صفحة 59

3– مد التمكين :

مد التمكين	الاية	الصفحة
الذي يعلم	6	360
لنحيي	49	364
قالوا وما الرحمان	60	365
لم يسرفوا ولم	67	365
يقتروا وكان	67	365

–ورد مد التمكين خمس مرات ، ينظر دلالته صفحة 59

– المد الفرعي :

مد فرعي بسبب الهمز : المد المتصل , المد المنفصل , المد المنفصل , مد البدل , مد الصلة الكبرى ,مد اللين المهموز.

1- استخراج المد المتصل من سورة الفرقان :

المد المتصل	الآية	الصفحة
جاءوا	4	360
شاء	10	360
جزاء	15	361
يشاءون	16	361
هؤلاء	17	361
أولياء	18	361
وأباءهم	18	361
لقاءنا	21	362
الملائكة	21	362
الملائكة	22	362
هباء	23	362
السماء	25	362
الملائكة	25	362
جاءني	29	362
لكل نبيء	31	362
ألائك	34	363
ولو شاء	45	364
من السماء ماء	48	364
من الماء بشرا	54	364
الا من شاء	57	365
في السماء بروجا	61	365
انها ساءت	66	365
فأولائك يبدل	70	366
أولائك يجزون	75	366
لولا دعاؤكم	77	366

- ورد المد المتصل خمسة وعشرون مرة في سورة الفرقان، ينظر دلالته صفحة 66

2- استخراج المد المنفصل من سورة الفرقان :

المد المنفصل	الآية	الصفحة
كفروا ان / ان هذا الا/الا افك	4	360
وقالوا أساطير	5	360
لولا أنزل	7	360
يلقى اليه	8	360
الذي ان	10	360
اذا ألقوا	13	361
عبادي هؤلاء	17	361
ينبغي لنا أن	18	361
وما أرسلنا	20	361
الا انهم	20	361
لولا أنزل	21	362
في أنفسهم	21	362
وقدمنا الى	23	362
اذهبا الى	36	363
التي أمطرت	40	363
لولا أن صبرنا	42	363
الذي أرسل	48	364
مما خلقنا أنعاما	49	364
فأبى أكثر	50	364
وما أرسلناك	56	365
قل ما أسئلكم	57	365
واللذين اذا أنفقوا	67	365

3- مد البدل :

مد البدل	الاية	الصفحة
ءالهة	3	360
ءاخرون	4	360
جاءوا	4	360
يشاءون	16	361
وءاباءهم	18	361
فؤادك	32	362
ولقد ءاتينا	35	362
بئاياتنا	36	363
ءاية	37	363
ءالهتنا	42	363
ءاخر	68	366
ءامن	70	366
سيئاتهم	70	366
بئايات	73	366

- ورد مد البدل أربعة عشر مرة في سورة الفرقان ، ينظر دلالته صفحة 67

4- مد الصلة الكبرى :

مد الصلة الكبرى	**الآية**	**الصفحة**
من دونه ءالهة	3	360
معه أخاه	35	363

- وردت الصلة الكبرى في سورة الفرقان مرتين فقط ، ينظر دلالته صفحة 67

5- استخراج مد اللين المهموز من سورة الفرقان

مد اللين المهموز	**الاية**	**الصفحة**
شيء	**2**	**359**

شيئا	**3**	**360**
السوء	**40**	**363**

–ورد مد اللين المهموز ثلاث مرات في سورة الفرقان ، ينظر دلالته صفحة 67

– مد فرعي بسبب السكون : المد العارض للسكون , المد اللازم , مد اللين

1–المد العارض للسكون :

المد العارض للسكون	**الاية**	**الصفحة**	**وصلا/وقفا**
ءاخرون	**4**	**360**	**وقفا**
وعد المتقون	**15**	**361**	**وقفا**
خالدين	**16**	**361**	**وقفا**
السبيل	**17**	**361**	**وقفا**
في الأسواق	**20**	**361**	**وقفا**
اتصبرون	**20**	**361**	**وقفا**
المجرمين	**22**	**362**	**وقفا**
الرحمان	**26**	**362**	**وقفا**
من المجرمين	**31**	**362**	**وقفا**
الامثال	**39**	**363**	**وقفا**
السوء	**40**	**363**	**وقفا**
يعقلون	**44**	**364**	**وقفا**
الكافرين	**52**	**364**	**وقفا**
أجاج	**53**	**364**	**وقفا**
لا يموت	**58**	**365**	**وقفا**
الرحمان	**59**	**365**	**وقفا**
وما الرحمان	**60**	**365**	**وقفا**
ولا يزنون	**68**	**366**	**وقفا**
حسنات	**70**	**366**	**وقفا**

– ورد المد العارض للسكون تسع عشر مرة في سورة الفرقان ، ينظر دلالته صفحة 67

2-المد اللازم :

المد اللازم		الآية	الصفحة
ءانتم	مد لازم كلمي مخفف حال الابدال	17	361
ارايت	مد لازم كلمي مخفف حال ابدال الهمزة الثانية حرف مد مجانس لحركة الحرف الذي قبلها	43	363

– ورد المد اللازم مرتين في سورة الفرقان ، ينظر دلالته صفحة 68

3– استخراج مد اللين من سورة الفرقان :

مد اللين	الآية	الصفحة	وصلا/ وقفا
قوم	4	360	وقفا
لا تدعوا اليوم	14	361	وقفا
اذالك خير	15	361	وقفا
يوم نحشرهم	17	361	وقفا
يوم يرون	22	362	وقفا
خير مستقرا	24	362	وقفا
ويوم تشقق	25	362	وقفا
ويوم يعض	27	362	وقفا
عليه	32	362	وقفا
الى القوم	36	363	وقفا
وقوم نوح	37	363	وقفا
وقرونا بين	38	363	وقفا
وسوف	42	363	وقفا
حين يرون	42	363	وقفا
عليه وكيلا	43	364	وقفا

كيف مد	**45**	**364**	**وقفا**
عليه دليلا	**45**	**364**	**وقفا**
والنوم سباتا	**47**	**364**	**وقفا**
بين يدي	**48**	**365**	**وقفا**
عليه من أجر	**57**	**365**	**وقفا**
اليل	**62**	**365**	**وقفا**
وكان بين	**67**	**365**	**وقفا**
يوم القيامة	**69**	**366**	**وقفا**
فسوف	**77**	**366**	**وقفا**

– ورد مد اللين أربعة وعشرون مرة في سورة الفرقان، ينظر دلالته صفحة 68

– ان المد في القراءة لبعض أحرف الكلمات القرآنية يعتبر ظاهرة من ظواهر زيادة أحرفها , وكما سبق أن ذكرنا في هذه الدراسة أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى , لذا فان ظاهرة المد لبعض حروف كلمات القران مدا زائدا على المد الأصلي الطبيعي حين التلاوة يدل على تفخيم هذه الكلمات وزيادة معناها , اذ اننا حين نرجع الى أحكام التلاوة في المد نجد أن المد قد جاء لأن الحرف الذي تلى الحرف هو الهمزة و أحيانا السكون .

وهذا الحكم يوضح اعجاز القرءان لاختيار الحروف التي تبدأ بها الكلمات القرآنية لتبين المعنى عل أكمل وجه .

خلاصة الفصل الثالث:

-وردت النون الساكنة في كلمة واحدة مرة واحدة في سورة الفرقان , أما في كلمتين وردت ثلاث مرات , والتنوين ورد تسع مرات , فالإظهار ورد ثلاثة عشر مرة في سورة الفرقان .

-ورد الإدغام بغنة أربعة و خمسون مرة في حين ورد الادغام بغير غنة أربع مرات فالإدغام ورد ثمانية وخمسون مرة في سورة الفرقان.

- ورد الإقلاب أربع مرات في سورة الفرقان.

- ورد الإخفاء في سورة الفرقان ثلاثة وأربعون مرة .

- ورد الإظهار الشفوي في سورة الفرقان ثمانية وأربعون مرة , أما الادغام الشفوي فقد ورد مرتين وذلك فقط , وذلك في الآية (12) والآية (19) , وكذلك الاخفاء الشفوي ورد مرتين كذلك في الآية (19) و الآية (52) , أما أحكام الميم الساكنة فقد وردت في سورة الفرقان (52) مرة , والحكم الطاغي في سورة الفرقان هو الاظهار الشفوي .

- ورد مد العوض واحد وتسعون مرة أما مد الصلة الصغرى ورد عشرون مرة

-ورد مد التمكين خمس مرات- ورد المد المتصل خمسة وعشرون مرة في سورة الفرقان.

- ورد مد البدل أربعة عشر مرة في سورة الفرقان.

- وردت الصلة الكبرى مرتين فقط وكذلك ورد مد اللين المهموز ثلاث مرات في سورة الفرقان.

- ورد المد العارض للسكون تسع عشر مرة في سورة الفرقان .

- ورد المد اللازم مرتين بالإضافة الى مد اللين أربعة وعشرون مرة في سورة الفرقان.

الخاتمة

ها نحن نأتي الى اتمام هذه المذكرة المعنونة ب " التشكيل الفونيمي ودلالته في النص القرآني سورة الفرقان نموذجا " والتي ركزنا فيها بالأساس على ما ورد في كتاب الله و بالأخص في سورة الفرقان من أحكام ودلالتها لأنه الركيزة التي يقوم عليها بحثنا فلقد سعينا جاهدين الى جعلها تحظى بالثراء والفائدة ومع ذلك فلا نحسب أننا أتينا فيها بجديد ولا بشيء خفي أو دقيق فاذا كان من فضل فهو لا يتعدى جمع شتاتها من مختلف المصادر والمراجع باختيار اللفظ المناسب للموقف المناسب ومهما تكن جهودنا فهي جهود بشرية لا تخلو من العيوب والنقائص وهذه أهم النقاط والنتائج التي توصلنا اليها :

- الصوت هو صدى مسموع نتاج عن تصادم جسمين أو أكثر .

- الفونيم هو عائلة من الأصوات في لغة متشابهة الخصائص والمستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع

- النون الساكنة هي نون خالية من الحركة تكون في الاسم والفعل والحرف ولها أربعة أحكام " الاظهار , الادغام الاقلاب , الاخفاء " .

- الاظهار هو اخراج الحرف من مخرجه من غير غنة , حروفه ستة " الألف , الهاء , العين , الحاء , الغين , الخاء

- الادغام هو التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا حروفه ستة مجموعة في كلمة "يرملون" , وينقسم الادغام الى قسمين ادغام بغنة حروفه مجموعة في كلمة "ينمو" , وادغام بغير غنة حروفه اللام والراء.

- الاقلاب هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميما عند الباء مع مراعاة الغنة والاخفاء له حرف واحد وهو الباء .

- الاخفاء هو النطق بالحرف بحالة وسط بين الاظهار والادغام , عار من التشديد مع بقاء الغنة ,حروفه خمسة عشر حرف : الصاد , الذال , الثاء , الكاف , الجيم , الشين , القاف, السين , الدال , الطاء , الزاي , الفاء التاء , الضاد , الظاء .

- الميم الساكنة هي ميم خالية من الحركة مثل : لم , منكم , لكم , ولها ثلاثة أحكام " اخفاء شفوي , ادغام شفوي , الاظهار الشفوي ", وسمي بالشفوي لخروجه من الشفتين .

- الادغام الشفوي اذا وقع بعد الميم الساكنة ميم ويجب مراعاة الغنة , له حرف واحد هو الميم .

– الاخفاء الشفوي اذا وقع بعد الميم الساكنة حرف الباء جاز اخفاء الميم ,حرفه الباء فقط ,مع مراعاة الغنة .

– الاظهار الشفوي اذا وقع بعد الميم الساكنة أحد الحروف الباقية ما عدا " الميم والباء" وجب اظهارها سواء كان ذلك في كلمة أو كلمتين .

– المد هو اطالة الصوت بحرف المد أو اللين عند وجود السبب وضده القصر .

– حروف المد هي الألف والواو والياء , أما حروف اللين هي الواو والياء المفتوح ما قبلها .

– ينقسم المد الى قسمين مد طبيعي " أصلي " وهو الذي لا تقوم ذات الحرف الا به مقداره حركتان , ومد فرعي هو المد الزائد على المد الأصلي لسبب من الأسباب ينقسم الى قسمين " سببه الهمز , سببه السكون ".

– يلحق بالمد الطبيعي :

*مد العوض : هو التعويض عن تنوين النصب حال الوقف بألف تمد بمقدار حركتين .

* مد الصلة الصغرى : هو مد هاء الضمير المفرد المذكر الغائب اذا وقعت الهاء بين حرفين متحركين .

* مد التمكين : هو المد الذي يكون عند اجتماع ياءين أولهما ساكنة والثانية مكسورة .

* مد ألفات حي طهر في أوائل السور بمقدار حركتين .

– المد الفرعي بسبب الهمز يضم :

* المد المتصل : اذا جاءت الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة , وهو واجب مقداره أربع أو خمس حركات .

* المد المنفصل : هو أن يكون حرف المد في كلمة والهمزة في كلمة أخرى , وهو جائز .

*مد البدل : هو أن يتقدم الهمز على حرف المد في كلمة .

* مد الصلة الكبرى : أن يأتي بعد الهاء همز , أما مد اللين المهموز هو أن يأتي بعد حرف اللين همزة .

– مد فرعي بسبب السكون يضم :

*المد العارض للسكون : هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك يوقف عليه بالسكون

* مد اللين : هو أن يأتي حرف اللين وبعده حرف ساكن .

*المد اللازم : – المد هو اطالة الصوت بحرف المد أو اللين عند وجود السبب وضده القصر .

– حروف المد هي الألف والواو والياء , أما حروف اللين هي الواو والياء المفتوح ما قبلها .

– ينقسم المد الى قسمين مد طبيعي " أصلي " وهو الذي لا تقوم ذات الحرف الا به مقداره حركتان , ومد فرعي هو المد الزائد على المد الأصلي لسبب من الأسباب ينقسم الى قسمين " سببه الهمز , سببه السكون ".

– المد الفرعي بسبب الهمز يضم :

* المد المتصل : اذا جاءت الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة , وهو واجب مقداره أربع أو خمس حركات .

* المد المنفصل : هو أن يكون حرف المد في كلمة والهمزة في كلمة أخرى , وهو جائز .

*مد البدل : هو أن يتقدم الهمز على حرف المد في كلمة .

* مد الصلة الكبرى : أن يأتي بعد الهاء همز , أما مد اللين المهموز هو أن يأتي بعد حرف اللين همزة .

– مد فرعي بسبب السكون يضم :

*المد العارض للسكون : هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك يوقف عليه بالسكون

* مد اللين : هو أن يأتي حرف اللين وبعده حرف ساكن .

*المد اللازم : ينقسم الى أربعة أقسام , المد الازم الكلمي المخفف أي يأتي حرف المد وبعده حرف ساكن , والمد اللازم الكلمى المثقل يأتي فيه حرف مدي وبعده حرف مشدد , والمد اللازم الحرفي المخفف لا يدغم اخر هجاء حرفي فيما بعده , والمد اللازم الحرفي المثقل يدغم اخر هجاء الحرف فيما بعده .

قائمة المصادر و المراجع

- القران الكريم برواة ورش عن نافع

- أحمد محمود عبد السميع الشافعي , , القول المألوف في المدود والوقف ومخارج وصفات الحروف , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ط1 , 1421هـ/2000م.

- أيمن رشدي سويد , النور المبين في تجويد القران الكريم , دار أفنان ,ط 5 , د ت.

- أيمن رشدي سويد ,أطلس التجويد

- ابراهيم بن سعيد الدوسري , تجويد القران الكريم للمبتدئين , دار الحضارة , الرياض , ط 2 , 1428هـ/2007م.

- الحسن بن شجاع بن محمد الحسن التوني , المفيد في علم التجويد , تح : محمد صفاء طه حمودي , دار عمار , ط 1 , 1430هـ/2009م.

- سليمان بن حسين بن محمد بن شلابي الجمزوري , متن تحفة الأطفال , دار المعاصرة الجديدة, د ط ,د ت.

- أبو عبد الرحمان عاشور خضراوي الحسني , أحكام التجويد, مكتبة الرضوان ,مصر , د ط , د ت

- عبد الكريم مقديش , مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق , دار المعارف , الجزائر, ط 6 , 1435هـ -2014م.

- علي بن عبد الرحمان الحذيفي , التجويد الميسر , مكتبة الملك فهد الوطنية , المدينة المنورة , ط 2 , 1433هـ/2016م.

- عزه السعيد الشامي , المفيد في علوم القران وعلم التجويد

- عبد الحفيظ بن طاهر هلال , عبد الكريم أحمد حمدوش , أنوار المطالع في أصول رواية ورش عن نافع ,دار الامام مالك ,البليدة ,الجزائر, ط4 1431هـ/2010م.

- فريال زكيا العبد , الميزان في أحكام تجويد القران , دار الايمان , الاسكندرية , د ط ,د ت.

- ابي الفداء اسماعيل ابن عمر بن كثير القريشي الدمشقي , تفسير القران العظيم

- أبي الفتح عثمان بن جني , سر صناعة الاعراب , تح : حسن الهنداوي , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ط 1 دون سنة.

- محمد عصام مفلح القضاة , الواضح في أحكام التجويد , دار النفائس , الأردن, د ط , د ت.

- محمود بن رأفت بن زلط , أحكام التجويد والتلاوة, مؤسسة قرطبة , مدينة الأندلس,ط1, 1428هـ/2006م

- محمد أحمد معبد , الملخص المفيد في علم التجويد, دار الفجر الاسلامية, المدينة المنورة, 1425هـ/2004م

- محمد مكي نصر الجريسي , نهاية القول المفيد في علم تجويد القران المجيد , مكتبة الاداب , القاهرة , ط 4 , 1432هـ/2011م.

- محمد نبهان بن حسين مصري , البشرى في تيسير القراءات العشر الكبرى , ط 1 , 1434هـ/2013م.

- محمود خليل الحصري , أحكام قراءة القران الكريم , دار البشائر الاسلامية ,د ط , د ت.

- محمد حسين علي الصغير , الصوت اللغوي في القران, دار المؤرخ العربي ,بيروت , لبنان , ط 1 , 1420هـ -2000م.

- محمد جواد النوري , علم الأصوات العربية , جامعة القدس , عمان , الأردن , ط 1 , 1996م.

- وهبة الرحيلي , التفسير الوجيز على هامش القران العظيم , دار الفكر , دمشق , سوريا , د ط ,د ت.

- يوسف الخليفة أبو بكر , أصوات القران كيف نتعلمها ونعلمها , مكتبة الفكر الاسلامي , الخرطوم , ط1 , 1396هـ/1973م.

المحتويات	الصفحة
بسملة	
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ- ب
مدخل مفاهيمي	5- 38
مفهوم الصوت	05
مفهوم الفونيم	06-05
الإعجاز الصوتي عند الرماني	06
تفسير سورة الفرقان عند ابن كثير	38-06
الفصل الأول : أحكام النون والميم الساكنتين .	
أحكام النون الساكنة	39
الإظهار	40
الإدغام	44-41
الإقلاب	44
الإخفاء	45
دلالة استخدام أحكام النون الساكنة	47-46
أحكام الميم الساكنة	48
الإخفاء الشفوي	49
الإدغام الشفوي	50
الإظهار الشفوي	50
دلالة استخدام أحكام الميم الساكنة	52-51
خلاصة الفصل الأول	53
الفصل الثاني : أنواع المدود	
تمهيد الفصل	54
المد الطبيعي	55
مد الصلة الصغرى	56
مد العوض	57

مد التمكين	58-57
مد ألفات حي طهر	58
دلالة المد الطبيعي في سورة الفرقان	59-58
المد الفرعي	60
المد بسبب الهمز	
المد المتصل	61
المد المنفصل	62-61
مد البدل	62
مد الصلة الكبرى	63-62
مد اللين المهموز	63
المد بسبب السكون	
المد العارض للسكون	64-63
المد اللازم	65 -64
مد اللين	66
دلالة استخدام المد الفرعي في سورة الفرقان	68-66
خلاصة الفصل الثاني	69
الفصل الثالث : دراسة تطبيقية للتشكيل الفونيمي في سورة الفرقان	
أحكام النون الساكنة	
الإظهار	70
الإدغام	72-71
الإقلاب	73
الإخفاء	75-73
أحكام الميم الساكنة	
الإظهار الشفوي	76-75
الإدغام الشفوي	77
الإخفاء الشفوي	77
أنواع المدود	
المد الطبيعي	82-78

المد الفرعي بسبب الهمز	85-83
المد الفرعي بسبب السكون	88-86
خلاصة الفصل الثالث	89
خاتمة	93-90
قائمة المصادر والمراجع	95-94
ملخص البحث بالعربية والانجليزية	99

ملخص بالعربية :

يعد الصوت مظهر الانفعال النفسي على حسب طبيعته ونوعه فقد تناولنا في هذه الدراسة الصوت ودلالته في سورة الفرقان وتطرقنا إلى معرفة أحكام النون والميم الساكنتين والمدود بأنواعها وأقسامها .

ملخص بالإنجليزية:

The vice is a manifestation of psychological emotion according to its nature and type .In this study we have dealt with the voice and its significance in Surat AL-Furqan ; We have also touched on knowig the rulings of the meme and the non sakinah ; as well as the madd ; its types and its divisions .